سلسلة أعلام حضرموت ١٣

جلاءُ الهمِّ والحزَن

بذكرِ ترجمةِ صاحِب عدَن

الإمام أبي بكرٍ العدني ابن عبد اللهِ العيدروس

(٨٥١ - ٩١٤هـ)

بقلم خادم السلَف

أبي بكرٍ العدنيّ ابن عليّ المشهور

فرعُ الدراساتِ وخدمةِ التُّراثِ
أربطة التربيةِ الإسلاميّة - عدَن

جلاء الهم والحزن

فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

جلاء الهم والحزن
(غلاف داخلي)

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

ِإنا أعطَيناك الكَوثَر . فصل ِلربك وانحَر.

ِإن شاِنئَك هو الأَبتر

الإهداء..

إلى شيوخِي الأَفَاضِل..

بِقِيةِ السلَف..

وأمِثلَةِ الطرِيقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإمام أبي بكر العدني ابن عبدالله العيدروس..

أحدِ أفذاذِ مدرسةِ حضرموت المنتشِرةِ في مشـارق الأرضِ ومغارِبها..

وإلى الراغِبين في التعرفِ على نمَاذِجِ ((السفِينةِ الـتي مـن ركِبها نجَا ومن تخَلف عنها هلَك)) ..

المؤلف

لمحة موجزة عن مدينة عدن

تناول عدد من المؤرخين مدينة عدن بالتقصي اسماً وتاريخاً، ومن أولئك المهتمين ذا الشأن بامخرمة في «تاريخ ثغر عـدن»، وابـن ا اور في «تاريخ المستبصر»، وتكلـم عنها الهمداني في «الإكليل»، والجَندي في «السلوك».

ويوجد في اليمن عدد كبير من « العدنات » ما بين قرى عامرة، وأخرى مندثرة. ويبدو من هذه التسميات أن « عدناً » ليست اسماً علـماً، والأغلب أ ا مصطلح لوصف مواقع ذات خصائص معينة، وهذا ما يؤكده تقصي «العدنات» الموجودة ببعض مناطق الـيمن؛ منها مساحة محدودة شمال محافظة لحج ما بين لبعـوس والضـالع وشمال ردفان أمكن حصر ما لا يقل عن عشرة من «العدنات» فيها، كلها منسوبة إلى ما يميزها عن بعضها البعض، مثل: عدن حمـادة، عدن أهور، عدن غير، عدن أرود، عدن جعشان، عدن الشـهي، عدن الدقيق، عدن الحجال، عدن الحوشبي، عدن الراحة.

ويفيد من رأى هذه المواقع أ ا تقع بعيدة عن جادة الطريـق؛ منتجعاتٍ اتخذها الناس طلباً للحماية والأمان، وتوسع بعضها حتى شمل أغلب الجبل، الذي تربض تحته عدن أبين، وعدينة تعز، وعدين

التعكر في محافظة إب، واختفى بعضها مثل عدن لاعة في حجـة، وحصن عدن في وادي حضرموت، وعدن المناصب، وعدن بـني شبيب في نواحي إب .

إن الانطباع الذي يمكن الخروج به مـن هـذا الاسـتعراض للعدنات هو أن هذا الاسم له علاقة بالاستيطان والإقامة والـيمن والرخاء، وهذا أيضاً يطلق على عدن أبين التي نحن بصددها ابتداء من تسميتها عيناء العربية السعيدة إلى فَرضة العرب. كما أن تفسير الكلـمة باليمن والسعادة في بعض النقوش اليمنية يفيـد نفـس المعنى(١) .

وقيل : سميت عدن نسبة لعدن بن عدنان، وهي نسبة لشخص كان اسمه عدنا، وكان أول من حبس ا. وهي أيضـاً نسـبة إلى عدنان بن نقشان بن إبراهيم، وهي مشتقة من فعل « عدن » مـن العدون، وتعني الإقامة، أو من المعدن، وهو معدن الحديد.

أما ياقوت الحموي فقد أورد سبباً للتسمية، وهو قوله: (إ ـا اسم أطلقته الحبشة في غزوهم اليمن عندما عبرت سفنهم إلى عدن،

---

(١) « العقَبة » لعبد الله محيرز ص٣١.

فقالوا: ((عدونة)) ، فسميت لذلك عدناً) .

وعدن - في تاريخها الطويل - كانت محط أنظار الطامعين والحالمين، وعلى شواطئها الهادرة تبادلت عساكر الغزاة أدوار الانتصارات والهزائم، وفي جوفها الملتهب بحرارة الصيف ، واعتدال الشتاء نبتت علاقات المجتمع العدني خليطاً ومزيجاً من أطراف المعمورة، حقيقةً ورمزاً، ومعنى وصورةً.

وظلت أشرعة السفن التجارية تمخر العباب منذ عمق التاريخ القديم حينما كان السبئيون والحميريون يمارسون التجارة مع الهند ومصر، ويتبادلون المحصولات والمصنوعات مع الآشوريين والفينيقيين والمصريين، وكان حينها ميناء عدن أحد الموانئ المهمة في سلسلة الموانئ التجارية كميناء حصن الغراب وظفار ومسقط [1] وغيرها.

وظلت أهمية عدن - من حيثيات الموقع التجاري والحربي - حلقة اتصال بين الشرق والغرب، وكان موقعها الجغرافي وسط الطريق بين أوروبا والهند.

---

(١) ((معالم تاريخ الجزيرة العربية)) لسعيد عوض باوزير ص ٤-٥ بتصرف.

وأشارت كتب التاريخ إلى موقع عدن، واهتمام الدول القديمة والحديثة بها؛ سواء قبل الإسلام أو بعده، واعتنى العديد من الملوك والأمراء والسلاطين ببناء السدود، وتوفير المياه، وإقامة الحصون فيها. ومن أولئك السلاطين المرتبطين بعدن : السلطان عامر بن عبدالوهاب -أحد ملوك آل طاهر- وكان معاصراً للإمام أبي بكر العدني بن عبدالله العيدروس - المترجم له - وأحد المتعلقين به، والمتأثرين بشخصيته(١).

وقد بنى السلطان عامر بعدن الصهريج المستدير -المعروف «بصهريج بليفر» الواقع خارج دائرة الصهاريج الأخرى- ومد قناة تحمل المياه من بئر «ماحطا» إلى عدن سنة ١٥٠٠ م .

وفي سنة ١٥١٣م حاول البرتغاليون احتلال عدن ؛ ولكنهم فشلوا وتلقوا في محاولاتهم هزائم منكرة على يد الدولة الطاهرية إبان حكم السلطان عامر والأمير مرجان.

وظلت عدن شامخة شموخ جبالها ورجالها، حتى انتزعها الإنجليز من سلطان لحج عام ١٨٣٩م تحت ستار طلب تعويض لسفينة

(١) سيأتي التعريف به عند الكلام على نماذج من أشعار الإمام العدني .

بريطانية غرقت على ساحل أبين، و ب قبائـل تلـك الناحيـة بضائعها، وماطل السلطان الإنجليز في التعويض مما أدى إلى اقتحامها والسيطرة عليها في ١٩ يناير من ذلك العام .

واستفاد الإنجليز من هـذا الميناء العالـمي، وسـخروه لـمصالحهم الاستراتيجية والتجارية، حتى جاء عهد الثورة الوطنية المسلحة، وتعرض الإنجليز إلى ضربات موجعة من الثوار اليمنـيين حتى أُعلن جلاؤهم عن الجنوب بإعلان الاستقلال في ٣٠ نـوفمبر ١٩٦٧م. وتعاقبت الأنظمة الوطنية على عـدن الـتي تعرضـت للانقلابات والتحولات السياسية والاقتصادية من عصر الاستقلال حتى عهد الوحدة المباركة؛ وهي المرحلة التي جمعت بين أطـراف اليمن، وأزاحت كابوس الإلحاد والشيوعية عن المنطقة، وحققـت لليمن عموماً ولعدن خصوصاً إعادة دورها التجاري والعلـمي، و يأت بذلك الأسباب لإعادة كتابة تاريخ الرجال الأفذاذ الـذين كان لهم دور في الاستقرار العلـمي والتربوي ذه المدينة المباركة.

الاستهلال

الحمد للّه وحده وعليه التكلان، والصلاة والسلام على سـيد ولد عدنان، سيد الأولياء، وإمام الأتقياء، والقدوة الحسنة لكل من اهتدى واقتدى، بشهادة رب الأرض والسما، القائـل سـبحانه: لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة سيدنا محمـد بـن عبداللّه، المنافح عن شرف أولياء اللّه بما أجراه مولاه على لسانه من الحديث القدسي الذي رواه عن اللّه : «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

اللّهم صل وسلـم على سيدنا محمد تاج الأصفياء، وعلـم الأولياء، وخاتمة الرسل والأنبياء، صلاةً وسلاماً دائمين مـتلازمين بتلازم الذكر من الذاكرين، والشكر من الشاكرين، وعلـى آلـه وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فيقول العبد الفقير إلى اللّه - كثير الـوزر والتقصـير - أبوبكر العدني ابن علي بن أبي بكر المشهور باعلوي :

رضيت باللّه رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى اللّه عليه وآله وسلـم نبياً ورسولاً، وألزمت نفسي - قدر الوسع والطاقة - أن أخدم طريق السير إلى اللّه، من خلال تعريف نفسـي وأهـل

عصري، على ما يجب التعرف عليه من أدب الرجولة في الرجـال، وشرف الأمانة في أعناق أهل الكمال، الذين ما ألهتهم الدنيا بحـال من الأحوال، صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ، فكان العهد نبراساً لهداية الضال، وإرشاد الجهال، ولأبين لأشباهي وأمثالي المخدوعين بأسباب الحضارة؛ أو المستغرقين في التشكيك بأهل الذوق والإشارة أن المسألة ليست على علا ا، وأن لكل مقام مقال، ولكل زمـن دولة ورجال ؛ فلا إفراط ولا تفريط، ولا عشوائية ولا تخلـيط . وكفانا كفانا من الحذلقة والأغاليط؛ فإن لكل كتاب أجل، واللّـه أعلى وأجل، ومن لـم يعرف حقوق أولياء اللّه فلن يسعد برضى ربه .

ولأبين أن العصر عصر تنكر و وك، وتمحك وتكبر، وافتـراء على اللّه مما لـم ينـزل اللّه به من سلطان. وقد قرأنا وسمعنا مـن هذا التهوك والتطاول على الأولياء ما لا مزيد عليـه، واستسـمن الناس ذا ورم، وادعى العلـم والفتيا كل حامل قلـ ـم، وظهـر الشح المطاع، والهوى المتبع، والدنيا المؤثَرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، واختلط الحابل بالنابل، والعالي بالسافل، ولـم نجد في هـذا الصخب الشامل، والـبلاء النـازل ؛ إلا السـكون إلى الكتـب

والـمراجع نقلب فيها حقائق الأزمان، وثوابت الإسلام والإيمـان والإحسان، في أهل المراتب الحسان، « الذين إذا رؤوا ذكر اللّـه، وعند ذكراهم تتنـزل الرحمات » .

وهذا يقين من يقين نذكره على سبيل التبيين، وتطمين الأرواح المؤمنة لتستبين؛ وغرضنا من ذلك رضى اللّـه رب العالـمين، وإحياء سنة سيد المرسلين، القائل : «من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد»، ونصرة أولياء اللّه من آل البيت، ومن أحبهم، و ج منهجهم، واهتدى ديهم، وسار بسيرهم على منهج الحـق والتمكين. وهذه ترجمة أحد أئمتهم، ومختصر حياة فرد من شيوخ ملتهم، وهو الإمام الجهبذ الحجة سيدي أبوبكر العدني ابن عبداللّه العيدروس ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف رضي اللّه عنهم أجمعين .

وقد جعلتها سيرة على نمط التراجم العصرية مجردة عن أساليب الكتابة التقليدية، ملتـزمين المعاصـرة في الأسـلوب والتحليـل، ومتجاوزين ما لا حاجة لأهل العصر به من الإسهاب والتطويـل؛ آملين قبول العمل في صالح الأعمال، وراجين ا التقرب لحضـرة المولى العزيز المتعال، وحباً وتعلقاً بأوليائه الأبطال رضي اللّه عنـهم وأرضاهم، وجمعنا م في دار القرار والجلال، مستورين محفوظين؛

غير محرومين ولا مبدلين، وآخـر دعوانـا أن الحمـد للّـه رب العالـمين.

تسلسل نسب الإمام العيدروس

هو السيد الشريف أبوبكر « العدني » ابن عبداللّه العيدروس بن أبي بكر السكران، ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف، ابن الشيخ محمد مولى الدويلة، ابن الشيخ علي العفيف، ابن الشيخ علوي الغيـور، ابن الشيخ الفقيه المقدم محمد، ابن الشيخ علي، ابن الشيخ محمـد صاحب مرباط، ابن الشيخ علي خالع قسم، ابن الشيخ علوي، ابن الشيخ محمد، ابن الشيخ علوي، ابن الشيخ عبيداللّه، ابـن الإمـام أحمد المهاجر، ابن الإمام عيسى، ابن الإمام محمد، ابن الإمام علـي العريضي، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابـن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين السبط، ابـن الإمـام الغالب علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صـلى اللّه عليه وآله وسلـم.

مشجر النسب

الإمام العدني رمز الأولياء في مدينة عدن

إن من عباد اللّه الصالحين رجالاً لا يموتون بموت أجسادهم، بل تتجدد ذكريات حيا م كل زمن ووقت وفي كثير من المناسـبات، وتحيا في نفوس الأجيال شريف أخبارهم، وجليل أحوالهم؛ وهذا هو سر الجدارة المحقوقة لكثير ممن إذا رؤوا ذكر اللّه الذين إذا ذكـر اللّه وجلت قلو م وإذا تليت عليهم آياته زاد م إيماناً وعلى ر ـم يتوكلون .

وهنا في مدينة عدن -المدينة الرابضة بين الجبال الشماء؛ المطلـة على البحر الزاخر؛ مدينة الحيوية والـذكريات؛ مدينـة التـاريخ والآثار؛ مدينة المظاهر الناطقة بعمق الحيـاة وعراقـة المـواطن؛ مساجدها وزواياها معلنة عن تاريخ سلسلة من الأماجـد الـذين عكفوا بين المحاريب للإبلاغ والدعوة إلى اللّه والتصـدر للتعلـيم والإفادة. هنا يجد المرء نفسه منساقة بالفطرة إلى التأمل والتفكـر، وإلى استعادة الماضي من خلال قراءة مشـاهد الحاضـر؛ ليمتلـئ الضمير ارتياحاً، والفؤاد جة.

وهناك تحت سفح الجبل الأشم في جنوب غرب مدينـة عـدن يرقب الزائر مسجد الإمام أبي بكر العدني ابن عبداللّه العيـدروس،

وهو مسجد عريق التأسيس بني في حياة الإمام العدني إبان حلوله بعدن خلال القرن التاسع الهجري . كان هذا المسجد منذ تأسيسه مجمع المريدين، ومقصد الفقراء وطلاب العلم؛ مسجداً تميزه المئذنة العالية الجميلة ذات الطراز الهندسي المتفرد، وقبته البيضاء الناصعة، وشرفاتها المتعددة [1]. وتحت القبة مباشرة يقع ضريح الإمام العدني، ومن حوله أضرحة متعددة داخل القبة وخارجها.

لقد دفن في هذه المقابر عدد من أفراد بيت الإمام العدني، منهم ولده الشيخ أحمد المساوى[2]، والسيد عمر بن عبدللّه العيدروس[3]، والسيدة مزنة[4] بنت الإمام العدني ، ودفن أيضاً تحت القبة الأمير مرجان بن عبداللّه الظافري أمير عدن[5]، الذي كان محباً للإمام العدني ومتعلقاً به، وهو من بنى بجوار المسجد رباطاً كبيراً وداراً

---

(١) بنى القبة السلطان عامر بن عبد الوهاب.

(٢) ستأتي ترجمته مع التلاميذ .

(٣) وهو سبط المترجم له ، أي: ابن بنته.

(٤) وهي أم السيد عمر المذكور آنفا.

(٥) ستأتي ترجمته مع التلاميذ .

لسكن الشيخ القائم بالتربة [1].

وفي كل يوم وليلة يشهد المسجد المبارك والمقام الباذخ زواراً من كل حدب وصوب؛ من راغب في قراءة التاريخ الصامت، ومن مستطلع آثار المتقدمين في البناء والهندسة والتصميم، ومن سائح جره الفضول السياحي لمشهد يحمل مقومات تاريخية فنية ودينية، ومن زائر يتذكر الآخرة؛ ويستغفر لأهل القبور؛ ومن الناس من ليس بذاك ولا هذا؛ ولكل وجهة هو مولّيها.

ويتساءل العديد من الناس – خصوصاً في عصرنا الحاضر – من هو العيدروس ؟ وما قصة تفرده بهذا المقام والاحترام، وبماذا تفرد في هذا الموطن حتى صار مشهده مستحقاً لهذا التبجيل ؟

والحقيقة التي خفيت عن الكثير من ضحايا الإعلام المعاصر أن لكل تاريخ رجال، ولكل رجال سمات وعلامات؛ وإذا لم يبق من العلامات والسمات غير الأبنية المشيدة والثياب المنجدة؛ فالأمر يدل على خيانة حلت بتاريخ الرجال، وتضافر سلبي تعاونت عليه الأجيال؛ وعند ذلك لابد من نفض الغبار عن تلك الأستار؛

---

(١) « تاريخ الشحر » ص٨٦ .

ليرى الجيل المخدوع أن هذه الآثار تنبـي عن أئمة صنعوا ا ـد، وصاغوه للأمة بصدق الاتباع، وكمال الانتفاع .

ولـم تكن الأبـنـية والأستار إلا أدنى مظاهر شعور الأجيال المتلاحقة بالعجز عن الارتفاع إلى مستوى أولئـك؛ فخلـدوهم للتاريخ المعاصر بحمل الأكسية والـمباخر تاركين ما كان عليـه أولئك الشيوخ من المحامد والـمفاخر.

وإن من هؤلاء الشيوخ الأكابر صاحب هذا المشهد الشـامخ، الإمام الشريف السني الحسيني أبابكر العدني بن عبدالله العيدروس، اشتهر في عدن بالعيدروس نسبةً إلى أبيه، ولقب بالعدني لسكناه في عدن ووفاته ا.

ميلاده ونشأته

ولد الإمام العدني -في أوائل القرن التاسع الهجري عام ٨٥١ هـ وقيل: عام ٨٥٢هـ، الموافق عام ١٤٣٢م تقريباً- بمدينـة تـريم الغناء؛ إحدى مدن حضرموت، وأهم مراكزها الدينية علـى مـر التاريخ.

كان والده الإمام عبدالله العيدروس منتظراً قدومه بعد أن بشـر

به والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه فاهتم بتنشئته وتربيته، ورعاه رعاية خاصة، وحمد اللّه تعالى أن منحه ولداً رضياً، يذكره بحال زكريا يوم قال: هب لي من لدنك ولياً . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً .

نشأ الإمام العدني محاطا بالعناية الخاصة من والده، والرعاية الدائمة من عمه الإمام علي بن أبي بكر السكران ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف، وكذلك اهتمامات وملاحظات ونظر الشيخ الولي سعد بن علي مذْحِج.

وقد كان لهؤلاء الثلاثة الأفذاذ فضل صياغة قلبه، وقالبه، وعلى أيديهم وبتوجيههم اعتنى بحفظ القرآن العظيم، فحفظه ووعاه، وزاد على ذلك أن فتح اللّه عليه من فهم معانيه ما سطع به النور على محياه. وقد أثر أن والده كان يأمر معلمه أن يتلطف به، وأن لا ينهره، ولا يعاقبه.

ومن عجيب تصرف والده معه أنه كان يجلسه معه في حلقة مدارسة القرآن، وإذا ما قرأ القرآن تركه يقرأ من غير أن يرد عليه أحد حتى لو أخطأ أو غلط، ولربما أخطأ وغلط في تلاوته استظهاراً، أو انتقل من سورة إلى سورة أخرى لما في القرآن من

المتشابه فيتركه حتى يعود بنفسه مرة أخرى إلى تصحيح ما أخطأ فيه.

وفي هذا العمر المبكر وجهه والده إلى قراءة مبادئ العلوم من لغة، وحديث، وتفسير، وفقه وغيرها من العلوم المتداولة آنذاك. وكان يشجعه على المطالعة والمراجعة والبحث، حتى صار ميالاً بطبعه للمطالعة في المؤلفات التي تزخر بها مكتبة والده، ومع هذا الميل الطبعي فقد حرص والده على أن يلاحظ توجهه من خلال مطالعاته. وفي هذا المضمار يتحدث الإمام العدني عن نفسه فيقول : (لا أذكر أن والدي – رحمه اللّه – ضربني ولا انتهرني قط ؛ إلا مرة واحدة لما رأى بيدي جزءاً من كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي، فغضب غضباً شديداً، فهجرتها من يومئذ) .

وقال : (وكان والدي ينهى عن مطالعة كتاب «الفتوحات» و«الفصوص» لابن عربي، ويأمر بحسن الظن فيه، ويقول: إن كتبه اشتملت على حقائق لا يدركها إلا أرباب النهايات، وتضر بأرباب البدايات [1]).

---

(١) في هذه العبارة إشارة إلى ما يسمى اليوم بالمستوى؛ حيث يشير الإمام العيدروس لولده العدني أن كثيراً من الكتب التي سبح مؤلفوها في بحور الحقائق لا

...

تتلاءم مع المبتدئ، أولاً لعدم تأهله لفهم ما فيها؛ ثم لأن المبتدئ غير محتاج لما فيها، وما فيها مستعاض عنه بما هو أهم وأجدى وأنفع، وأما أرباب النهايات – وهم ما يمكن أن يطلق عليهم اليوم « المتخصصين » - فهم قادرون على فهم العبارة، وأيضاً لا يضرهم منها ما لا يطابق النقل، والعقل؛ لتمكنهم في علوم الشريعة، وفهمهم حال أولئك، وما بلغوه من مقامات وأحوال.

وهذا القول الذي وضعه الإمام العيدروس يدل على أن السلف الصالح كانوا ينشئون أبناءهم على هدي الكتاب والسنة، وهم المحقوقون بذلك؛ ولذا تراهم يصرفون نظر أبنائهم عن الكتب الأخرى، بل وينكرون عليهم ذلك، وفي هذا أكبر حجة ودليل على عدم العلاقة بين مسلك التصوف بحضرموت وبين إفراط المفرطين في مفاهيم التوحيد المنسوبة لبعض الأولياء كالحلول والاتحاد وما شاكلهما من الأقاويل التي يرمي ا المتأخرون « الصوفيةَ » على غير تمييز ولا بيان.

وأفضل ما نستدل به على « سلامة منهج السلف » ليس التهم المقروءة والمسموعة في كتب الإعلام العصرية، وإنما « عبارات السلف وكلاما م التي حفظتها لنا تراجمهم » حيث سنجد أن السلف قد سبقوا متأخري العصر في تحييد «مفاهيم الإفراط» عن حقيقة المنهج العلمي المتبع لدى أهل السنة والجماعة، بل وتفوق الأوائل على الأواخر أ م سلكوا مع ابن عربي والحلاج وغيرهم مسلك الأدب، ولم يتهموهم بالمروق والإلحاد، بل حذروا من كتبهم وأقوالهم، وتركوا أمرهم إلى اللّه.

إقامته وترحاله

عاش الإمام أبوبكر بن عبدالله العيدروس منذ ولادته في حضرموت متدرجاً في السلوك، والعلم، والاستفادة، والقيام بمظاهر والده الإمام العيدروس بعد وفاته، وقد بلغت مدة هذه الإقامة المتوالية ثمانية وثلاثين سنة تقريباً ؛ إلا أنه بعد وفاة والده صار يتعهد السفر إلى الشحر كعادة والده؛ وقد كان والده دائم السفر إلى الشحر لزيارة الشيخ سعد بن علي الظفاري ثم الشحري، وتأسيا بأبيه صار الإمام أبو بكر العدني يسافر إلى شبام ودوعن لزيارة المشاهد والمآثر، ومنها زيارة قيدون، حيث ضريح الشيخ سعيد بن عيسى العمودي. وكان يتردد إلى شعب نبي اللّه هود، ويعبر أثناء رحلته على البداوة وأهل القرى لنشر الدعوة إلى اللّه.

وسافر إلى الحرمين الشريفين مرتين؛ الأولى كانت عام ٨٨٠هـ[1]، وعاد منها إلى حضرموت، والثانية كانت عام

(١) رحلته الأولى بطريق البر، وإليها أشار الشيخ عبد اللطيف باوزير في مقدمة الديوان، وأشار إلى مرور الإمام أبي بكر العدني بساحل بلاد العوالق إلا أن التصحيف في الكتابة جرى مجراه، فكتب « بلاد الطوالقة » بالطاء، ولا توجد على ساحل البحر العربي بلاد بهذا الاسم.

٨٨٨هـ ، ومنها دخل إلى زيلع[١] التي حاكمها محمد بن عتيق ، وله تعلق كبير بالإمام أبي بكر العيدروس، وقد ارتبط واتصل به قبل وصوله، ويذكر أن الإمام أبي بكر العيـدروس انتقـل إلى عـدن واستوطن في ذلك العام.

وذكر الشيخ بحرق -في « مواهب القدوس »- أنه لـما عزم الشيخ أبوبكر بن عبدالله على السفر إلى الحج في المرة الثانية دخل على والدته الصالحة التقية عائشة بنت الشيخ عمر المحضار ليستودع منها؛ فرآهـا متغيرة الحال لفراقه، فأشفق عليها وعزم على ترك السفر؛ فلـما رأت منه ذلك قالت له: (اعزم يا ولدي على ماكنت عليه من السفر؛ وأنـا أصبر على فراقك) ، فقال لها: (أخشى أن يأتي الموت وأنـا غائـب عنك) ، فقالت : (إنك لن تحضر موتي أبداً) ، قال : (وكيف ذلك يكون ؟) قالت : (إني رأيت في المنام كأني دخلت الجنة فسألت عنك، فقيل لي: إنه في زيلع، وما معنى ذلك إلا أني أموت وأنـت بزيلـع). وكان الأمر كذلك، فإ ا رحمها الله توفيت وهو في زيلع بعد رجوعـه من مناسك الحج.

---

(١) عاصمة بلاد الصومال آنذاك.

توطنه في عدن المحروسة

لـما غادر الإمام العدني حضرموت في حجته الثانيـة سـار في طريقه إلى بلاد كثيرة، وعبر على عدن و ائم اليمن كزبيد وبيـت الفقيه والـمراوعة، وكان مع ابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن علي، واتصلا في هذه الرحلة بجملة من العلـماء والـمحدثين والأولياء المتقين؛ حتى بلغا أرض الحرمين الشريفين، وحجا تلك السـنة؛ ثم عزم الإمام العدني على السفر بعد الحج إلى زيلع للقـاء حاكمهـا محمد بن عتيق، وكانت معرفته به من الحجة الأولى ٨٨٠ هـ.

وفي زيلع وصل الخبر بموت والدته الشريفة عائشة بنت الشـيخ عمر المحضار، فحزن لـمو ا حزناً شديداً، وتذكر ما وعدت بـه في الرؤيا. وبعد أيام سافر إلى الحديدة بحراً. ومنها إلى تعز في أوائل عام ٨٨٩ هـ، وكان عازما على الركوب إلى الشـحر، فوافـق دخوله تعزاً اجتماع الناس للتعزية بوفاة الشريف سراج الدين عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء المتوفى بتعـز في شـهر رمضـان ٨٨٨هـ، فانكبت الناس على الإمام العدني للتعزية، وأرسل إليـه علـماء عدن بعزمهم على الوصول إلى تعز لتعزيته؛ فأرسل إليهم أنه سيأتي إلى عدن، فعزم على زيارة عـدن، ولـ ـما وصـل إلى

الحوطة – عاصمة لحج – أرسل من يخبر أهل عدن بقدومه؛ فخرج علـماء عدن ووجهاؤها وعامة أهلها لاستقباله، ودخـل مدينـة عدن في موكب مهيب يوم ١٣ ربيع الثاني من عام ٨٨٩هـ [1]، واستقبل التعازي من الناس، ولازمه العدد الكثير طلبـاً لدعائـه، وامتلأت القلوب بمحبته، وألقى المولى على أهالي عدن شدة التعلق به، فطلبوا منه الإقامة ا؛ فاستخار ربه تعالى في ذلك فانشرح لـه الصدر، وتم الأمر على مقتضى ما كتب اللّه في سابق الأزل؛ قال في «مواهب القدوس» : (وكان قد أخبره عمه الشيخ علي بن أبي بكر السكران في مقتبل عمره بأنه يسكن عدن ويموت ا، فكان الأمـر كذلك، ومنذ ذلك الحين أقام الإمام العدني بمدينة عدن، وشيد فيها

(١) خلد أهل عدن هذه الذكرى المباركة كل عام بإقامة ما يسمونه بالزيارة السنوية للعيدروس، وهي مناسبة دخوله إليها، لا كما يعتقد البعض أ ا حـول وفاتـه، وللزيارة المذكورة اهتمام ومظهر كبير في عدن منذ القـدم، وصـارت إحـدى المناسبات الشعبية الرسمية التي تعتني ا الدولة والشعب، إلا أن هذه المناسبة طرأت عليها بعض الإفراطات التي كانت سبباً من أسباب الهجمة المبيتـة علـى المقـام والـمقابر بتاريخ ٢٣ / ٣ / ١٤١٥ الموافق ١٩٩٤/٩/٢ م، وقد أعاد المناصب بعد ذلك دور الزيارة العلـمي والعملي بالتدريج حتى صارت اليوم مناسبة ذات مدلولات اجتماعية وروحية هامة ومفيدة.

جامعه الأفْيح الذي صار طيلة حياته قبلة القاصدين، ومأوى لطلاب العلـم، وغرباء الدارين، والـمتعلقين، والـمحبين، وظل كذلك حتى وفاة الإمام العدني في شهر شوال من عام ٩١٤ هـ) .

وذكر صاحب « تاريخ الشحر »[١] أن السـلطان عـامر بـن عبدالوهاب بنى على قبر الإمام العدني قبة معظمة عجيبة. وبنى من بعده الأمير مرجان الظافري رباطاً كبيراً، وداراً كبيرة لسكنى الشيخ القائم بالتربة، ثم بنى الشيخ محمد بن عبدالـملك ثلاثة أروقة محيطة بالقبة .اهـ . ولـم ينقطع مدد رباط عدن بعد انتقال الإمام العدني إلى رحمة اللّه؛ بل قام بالأمر من بعده ولده الشيخ أحمد المسـاوى حتى وفاته؛ ثم قام من بعده الشريف محمد بن عبداللّـه، وأخـوه عمر بن عبداللّه، وهكذا .

أحوال الإمام أبي بكر العدني وعاداته وبعض صفاته

عاش – رضي اللّه عنه – منذ صباه موطناً نفسه على العـادات الحسنة، والصفات المستحسنة، فلا غرو إذا تفرد عـن الأشـباه، والأمثال في بعض أحواله؛ فقد كان وقته مقسماً منذ نعومة أظفاره

(١) ص٨٦ .

بين طاعة اللّه، وخدمة العلـم، وطلبه، ونشر الـدعوة إلى اللّـه، ومجالسة أهل الخير، وذكر اللّه تعالى في السر، والجهـر، وقـراءة القرآن، وتلاوة الأوراد، وخدمة والديه؛ شغوفاً بمطالعـة الكتـب النافعة؛ صارفاً جل أوقاته في النفع الخاص والعام؛ رؤوفاً بـالعوام وخاصة ممن يترددون على مجالسه، ويعاملهم بـاللطف، واللـين، ويوجههم إلى الخير بالحسنى، وكان يقول : (إني إذا رأيت المؤمن قد وفقه اللّه لأداء الفرائض، واجتناب الكبائر أرحت خاطري منه ؛ لأنه قد صار مع الركب يمشي على قدميه، وإنما أشغل خـاطري، وأصرف عنايتي، وأبذل جهدي في خلاص من رأيته منـهمكاً في العصيان، واقعاً في حبائل الشيطان[1]) .

ولهذا كان بعد استقراره في مدينة عدن يجمع أتباعه ومحبيـه في مجالسه كل ليلة؛ وخاصة من يعرف أن انصرافه وذهابه يعود عليـه بالـمعاصي والـمخالفات، فكان يحفظهم بالـمجالسة وسمـاع الذكر والقراءة حتى صلاة الفجر؛ فيصلي م في مسجده، ويعطي كل واحد منهم أجرة عمل يومه، ويسمح له بالذهاب إلى منـزله

(١) « ا موعة العيدروسية » ص٢٠.

لينام، حتى يتروض حاله على الطاعة، ويعزف عن حب المعصـية، فيتركه بعد ذلك يسوس نفسه في كسبه وطاعته للّه.

وكان رحمه اللّه على غاية من الرأفة والرحمة بالـمسلـ ـمين المنكسرة قلو م، يؤنسهم، ولا يرهبهم، ويفتح لهم بـاب الرجـاء والطمع في عفو اللّه؛ لعلـمه بسعة رحمة مولاه، وكـان جامعـاً للأخلاق المحمودة من الحياء، والـمروءة، والزهد في الدنيا، شديد التمسك والاعتصام بكتاب اللّه وسنة رسول صـلى اللّـه عليـه وسلـم، ويحث مريديه على ذلك، ويكره الخـوض في فضـول الكلام مثل ما جرى بين الصحابة (١) رضوان اللّه عليهم أجمعين .

وكان ينـزعج كثيراً إذا وردت عليه في التلاوة آيات الخوف، ويبكي كثيراً، وإذا وردت آيات الترغيب ارتـاح لهـا، وانبسـط وانفرجت أساريره، وكان يعجب ممن لا يتـأثر بآيـات التقريـع

---

(١) مذهب السلف بحضرموت عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة، وترك الجدل فيه من أساسه حيث لا يرون في ذلك الأمر فائدة ترجـى للأمـة غـير البغضـاء، والشحناء، وفتح ا ال للسفهاء وأتباع الأهواء الذين يأكلون ويشربون بإشـاعة الجدال، والكلام في الرجال، وربما ضعفوا عن وضع القواعد الشرعية لبناء الحاضر والـمستقبل على الكيفية المرجوة، وإذا قرئ في بعض الكتب شيء مـن ذلـك كانوا يمرون القراءة دون تعليق، ويتجاوزون الوقوف عندها.

والترهيب، ويقول في ذلك : (إن القلوب إذا استحكم عليها الهوى لـم يزدها التخويف إلا نفوراً) .

وكان جلالي الجوهر؛ جمالي المظهر؛ حسن الاختيار لكل طيب في الملبس والمـأكل والمـركب، وكان كثير الإنفاق حتى ركبته الديون الكثيرة، ولامه بعض خاصته على كثرة إنفاقه فكان يقـول لهم: لا تدخلوا بيني وبين ربي، فما أنفقت ذلك إلا لرضاه، وقـد وعدني أن لا أخرج من الدنيا إلا وقد أدى عني ديني، فكان الأمـر كما قال رحمه اللّه .

قال في « مواهب القدوس » حول ما أثير عن كثرة الإنفاق مـن يده رحمه اللّه : (جرى ذكر الإمام العدني بحضرة السلطان العادل عبداللّه الكثيري، وكأن بعض الحاضرين عرض بالطعن في الإمـام العدني، فزجره السلطان وقال : أشهد أنه سيد أهل عصـره ؛ لأن سادة الناس في الدنيا الأسخياء، ولا أعلـم على وجه الأرض أكرم منه [1]) .

(١) « مواهب القدوس » ص١٣، وجاء في « النور السافر » ص٢٦٧ عـن الشـيخ العلامة عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان العمودي أنه دخل عدناً في زمان الشيخ أبي بكر العدني العيدروس، فأضافه الشيخ أبوبكر، وبالغ في ذلك، فلـما رأى

وكان رحمه اللّه بادئ ذي بدء في مدينة عدن يسكن بمنطقة صيرة قريباً من البحر حتى تـم تشييد مسجده سنة ٨٩٠ هـ ـ الموافـق ١٤٧٠ م؛ فانتقل إلى جواره، وفـتح دروس العلـم، وحلقـات التذكير، وصار مسجده ومنـزله ملتقى الأضياف والزوار من كافة النواحي والأقطار، وكان يطرب للسماع، ويأنس بـه في مجالسـه، ويعقد له الأوقات الخاصة بعد أن يقضي وظائف الأوقات الأخـرى بالعلـم، والدروس، والذكر والتذكير.

ولـما سئل الشيخ عبداللطيف بن أحمد الزبيدي[1] عن أحـوال الإمام العدني قال: (الذي نعتقده وندين اللّه به أنه صاحب الوقت، وشرح أحواله قدس اللّه سره يطول، وإنما الغرض إزالة الإشـكال عن أهل الوهم والخيال بشهادة أرباب البصائر والكمال) .اهـ .

قال الشيخ محمد بن عمر بحرق الحضـرمي[2] : ولقـد كنـت

الشيخ عمر كثرة ما صنع خطر في قلبه أن هذا إسراف . فالتفت إليـه الشـيخ أبوبكر العدني قائلاً : (أكرمناهم فقالوا إسراف) . فقال الشيخ عمر : أسـتغفر اللّه.اهـ . ويدل كلام الإمام العدني أن صنيعه كان على نية إكرام العلـم وأهله، وليس للتبذير .

(١) ستأتي ترجمته مع التلاميذ .

(٢) « مواهب القدوس » ص١٤ .

أستشكل أشياء تصدر من سيدي قدس اللّه سره تقصر عنها عقول أمثالنا القاصرة، وكنت بتوفيق اللّه أعرضها على أرباب البصـائر، وما منهم أحد إلا ويأمرني بالتسليم، ويشهد عندي بعلـو مقـام سيدي، وأنه على هدى من العليم، ومنها أني عرضت على سـيدنا وشيخنا الفقيه العالـم العارف باللّه محمد بـن أحمـد باجرفيـل الدوعني رحمه اللّه تصرفات مالية يباشـرها سـيدي في قبضـها، وصرفها في ظاهر الأمر في غير مصارفها، فقال لي: أنا أشهد أنـه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل، والحل والعقـد، والتصـرفات كلها..إلخ . ومنها أني قلت لسيدنا وشيخنا الشريف بدر الـدين الحسين بن الصديق بن الحسين الأهدل قدس اللّـه أرواحهـم أن أحوال سيدي الشيخ أبي بكر أشكلت علينا، فقال : دعها تحـت حجا ا؛ مستورة بسحا ا؛ فلو أشرقت لأحرقت الوجود كله، أما ترى أنا نقف على أبوابه، ونكتفي بتقبيل أعتابه) .

ونختم هذا الفصل عن أحواله بما وصفه به تلـ ـميذه الشـيخ عبداللطيف باوزير في مقدمة الديوان «محجة السالك» بما مثالـه : وشيخنا رضي اللّه عنه أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وأكثرهم أدبـاً؛ سهل الجناب؛ قريب الحجاب، حسن الخطاب، سـريع الجـواب،

واسع العلم، كثير الحلم، ثبت الجنان، بليغ اللسان، عقله راجح، وحلمه راسخ، وفهمه ثاقب، ورأيه صائب، ينصف من نفسه، ولا ينتصف لها، ويتغافل عن الزلة كأنه لم يعرفها، يعفو عمن بغى عليه، ويحسن إلى من أساء إليه، يقبل الهدية وإن كانت يسيرة، ويثيب عليها، ويغفر الخطيئة وإن كانت كبيرة، ولا يعاقب عليها، يصل الأرحام، ويكفل الأيتام، ويحب المساكين، ويداري الشياطين، جميل الأخلاق، كثير الإنفاق، يحب الصداقة سراً وجهراً، ويفعل المعروف ثم يتبعه شكرا؛ يعطي الجزيل ويقبل القليل؛ أوفى الناس حسباً، وأشرفهم نسباً، وأحسنهم أدباً، وأكرمهم أباً؛ يحمي ذماره، ويعز جاره؛ يكرم الوافد، ويغني القاصد، يحب الخير ويأمر به، وينهى عن الشر من صحبه، يحب الشريعة وينصرها، ويأمر بالسلوك عليها ويتبعها؛ يكظم الغيظ مع قدرته، ويقبل العذر مع حدته، ويدمن الصبر عند بليته، ويشكر اللّه في رخائه وشدته.

صبره عجيب، وخيره قريب، وفعله غريب؛ يخالف النفس والشيطان، ويرضي الخالق المنان، وليس هذا معشار العشر من صفاته الحميدة ؛ ولكن -وإن قصرت قريحتي عن أوصافه،وعجز

فهمي عن اتصافه- أقول كما قال القائل :

جمعت له وصفاً على حسبِ طاقتي ... ومـا أنـا إلا باليسـير لجـامع

وقال عن صفاته في مقدمة الديوان[1] : (وشيخنا رضي اللّه عنه أعلـم أهل زمانه بالسنة، وأقومهم عليها، وآمرهم باتباع الملـة، وأحبهم فيها، ولقد رأيت علـماء الحديث، والأصول، والفروع، وغيرهم يأتون إليه فيملي على كل في فنه حتى يفحمهم. يذكّر في الرجاء حتى يتحقق أنه أرجا خلق اللّه، وإذا وعـظ يتحقـق أنـه أخوف خلق اللّه؛ يحب من الأمور ما تيسر، ويكره ما تعسر ؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم ما خير بين أمـرين إلا اختـار أيسرهما. وشيخنا رضي اللّه عنه يحب التفاؤل بالخير، ويكره التطير بالشر) .

أما البشارات والإشارات التي أظهرت فضله، ومقامه فكـثيرة، ومنتشر خبرها في كتب الطبقات والتـراجم، ومنـها مـا أورده صاحب «العقد النبوي»[2]: إن الفقيه عبدالرحمن باوزير قال : (بينما نحن جلوس عند أبيه إذ قال: « اللّه أكبر » ثلاثاً، فقلت له : مه يـا

---

(١) ديوان « محجة السالك » ص٤ .

(٢) « العقد النبوي » ص١٢٠ .

سيدي ؟ قال : بشرت بولدٍ من أهل الولاية والعناية والمكارم، وقال أيضاً في بعض الليالي وقد طرأ عليه حال من حالات وجده : يبرز ويظهر بدر الكمال، من أبراج الجمال، الحائز لمحامد الأعمال، صاحب المقام الأسنى، والسر المصون الأهنى، فولد الشيخ المذكور في ذلك اليوم.

وكان السلطان سلطان بن دويس والي تريم جالساً يوماً عند الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس وولده أبو بكر يعبث بلحيته، فقال السلطان: يا شيخ تحب هذا الولد ؟ فقال : وكيف لا أحبه ؟! قد بشرت عند وضعه أني أعطيت ولداً من أهل العناية والولاية) .

شيوخه ومعلموه

الشيخ أساس من أساسيات الطريق، ويعرفه أهل العلم بأنه المعلم الآخذ بالمريد إلى الله بالنصيحة، والقدوة الحسنة، ومراعاة الحال والنفس بالرياضة والتأديب حيناً، وحيناً بالزجر، والتأنيب. وكما أن للصلاة إماماً، وللمعارف العلمية خبراء؛ فإن لتربية النفس، وتهذيبها في ذات الله شيوخاً ومسلكين. واتخاذ الشيخ للمريد أمر لا بد منه حتى لا يتخذ إلهه هواه.

وإن من مصيبة الزمان انعدام الشيوخ المربين، وكثرة المتحذلقين الفتانين. وقد كان السلف الصالح يعتنون بالبحث عن الشـيوخ، ويسافرون في سبيل ذلك ويظعنون.

والشيوخ أنواع ومراتب؛ فشيخ فتح، وشيخ تسليك، وتربيـة؛ وشيخ تعليم؛ وشيخ تبرك.

وقد هيأ اللّه للإمام العدني هذه النماذج كلها منطوية في جملة من الرجال الذين ارتبط م وأخذ عنهم كما سيأتي:-

والده الإمام عبداللّه العيدروس

كان زعيم العلويين وحجتهم، وإمامهم في عصره. ولد بتريم سنة ٨١١هـ، وحفظ القرآن العظيم. واستوعب علوم عصره، ومصره، وزاد عليها من علـم الأحوال والباطن بما شهد له بـه الخـاص والعام. لقّبه والده بالعيدروس. وهو لقـب يطلـق علـى «إمـام الصوفية». قال في «المشرع»[1]: (العيدروس لقب إمام الأولياء، وقال بعضهم: العيتروس من أسماء الأسد، ولـما بشر بولادته جده عبد

(١) « المشرع الروي » (٢: ١٥٢) .

الرحمن السقاف قال: هو صوفي وقته) . اهـ . كما يطلـق عليـه «العيدروس الأكبر» تمييزا له عن بقية العدارسة من بعده.

مات عنه والده وهو ابن عشر سنين؛ فقام بتربيته عمه الشيخ عمر المحضار، وزوجه بابنته عائشة؛ ثم ربطه بجملة من أكـابر شـيوخ عصره فأخذ العلوم، وتبحر فيها؛ خصوصاً في علوم الشريعة، فقهاً، وحديثاً، وعقائد. وتفوق في علوم التصوف علـماً وحالاً، وكانت له مجاهدات، ورياضات أخذها عن عمه المحضار، ولـما توفي عمه المحضار اختاره بنوعلوي نقيباً لهم وعمره خمس وعشرون سنة، فقام ا خير قيام، وأخذ عنه الخاص والعام؛ ثم لـم يزل كذلك حـتى توفاه اللّه وهو في رحلة جهة الشحر عائداً إلى تريم بقرية تسمى « عبول » في ١٢ رمضان ٨٦٥ هـ ، وعمره حينئذ أربع وخمسـون سنة، ثم حمل على الأعناق إلى تريم ودفن ا يوم الرابع عشر مـن رمضان، وصلى عليه أخوه الشيخ علي بن أبي بكر وقال فيه بعد أن لقنه :

غِبتم فيا وحشةَ الدنيا بفَقْـدِكُم فاليوم لا عِوض عنكم ولا بـدلُ

وهو أول شيوخ الإمام العدني؛ وأول من فتق لهاته لـلـمعارف والعلوم، وأسبق الرجال لـمنحه زناد قبس الفهوم؛ بل نبت لحمه،

وعقله بين يديه، ونما فهمه وإدراكه من خلال قراءته عليه، وقـد كان حريصاً عليه كل الحرص، يراقب سلوكه وأخلاقـه، ونمـو معرفته وأذواقه، وقد مر آنفاً بعض ما كـان يلاحظـه عليـه في مطالعاته وقراءاته، حتى أقام توجهه على طريق المنـهج السـوي، لـمسلك السادة بـنـي علوي :

وينشأ ناشِـئُ الفتيـانِ مِنـا على ما كـان عـوده أبـوه

لقد عوده أبوه على تحقيق كتب العلـم، وحفظ القرآن؛ فحقق في السلوك «بداية الهداية»، و«منهاج العابدين»، وفي الفقه «منـهاج الطالبين»، و«الخلاصة» وكلها للغزالي. و« عمدة ابن النقيب »، وقرأ في السلوك «الإحياء» على والده، وحقق معانيه، ثم التـزم بطريـق النذر مطالعة شيء منه كل يوم طول حياته.

وأدخله أبوه الخلوة وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة، وأخرجه بعد سبعة أيام وقال: إنه بحمد الله لا يحتاج رياضة.

وكانت من رياضاته في حياة والده وتحت رعايته: خروجه كل ليلة من آخر الليل إلى بعض شعاب تريم مع ابن عمه عبدالرحمن بن علي، فيقرأ كل واحد منهما عشرة أجزاء في صلاته. ثم يرجعان إلى المسجد قبيل الفجر، كما عود نفسه السهر من صغره حتى صار له

عادة وطبعاً بغير تكلف.

وقبيل وفاة الإمام العيدروس بنحو شهرين -وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة- ألْبس ولده العدني وحكمه وأجازه، وأجلسه مجلسه في رجب سنة ٨٦٥هـ، ولهذا كان يقول : (أتـوني ـا مسـرجة ملجمة، وقالوا : اركب. فركبت[1]).

وقد عاصر الإمام العدني من حياة والده أفضل العمر وأنصـعه؛ وكل حياة الإمام العيدروس فاضلة وناصعة. شهد مقامه الشـامخ على منصة النقابة لبـنـي علوي، وكلـمته النافذة لدى أمـراء حضرموت، ورؤساء العشائر؛ كما جلس بين يديـه في ا ـالس الخاصة ، والعامة يقرأ عليه، ويستمع منه، ويتأدب به. وكان والده شغوفاً بكتب الإمام الغزالي، ويقول فيها: (إ ـا تصـل إلى فهـم معانيها عموم الأفهام، ويشترك في الوصول إلى العلـم ا الخـاص والعام).

---

(١) قال هذه العبارة عندما أقيم مقام والده بعد موته، وذلك أن بعض أكابر بـنـي علوي قال له : (كيف تنال هذا المقام في هذا السن؟) فقال: (إنما أتوني ا مسرجةً ملجمة.، وقالوا لي: اركب، فركبت) . فقال له ذلك السائل: (اركب يا سـيد، فذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء) .اهـ ص١٢ من «ا موعة العيدروسية» .

كما شهد الإمام العدني كرم والده، وإنفاقه الواسع على الفقراء، والمحتاجين، والأرامل، والأيتام؛ حتى مات وعليه من الدين والغرم ثلاثون ألف دينار، أداها عنه الإمام العدني فيما بعد؛ وفيها يقول:

أما ترى أنني قضيت دين أبي   وكان ذاك ثلاثونَ الف دينار[1]

وللعيدروس الأكبر جملة من المؤلفات منها ما خرج إلى حيز الوجود وطبع كالكبريت الأحمر، ومنها ما لا يزال مخطوطا كمجموع كلامه[2].

الشيخ علي بن أبي بكر السكران

ولد – رحمه الله – في تريم سنة ٨١٨هـ حفظ القرآن العظيم، وحقق علوم القراءات؛ وخصوصاً قراءتي أبي عمرو، ونافع، وحفظ «الحاوي الصغير» للقزويني في الفقه، والحاوي في النحو، وكان أهم شيوخه الذين اعتنوا به عمه الشيخ عمر المحضار حيث كان يكفله

---

(١) الديوان، «المجموعة العيدروسية» ص٢٨٨ .

(٢) وممن ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» (٥: ١٦) ، وقد أفردنا له ترجمة ضمن هذه السلسلة.

هو، وشقيقه العيدروس بعد وفاة والدهما. أخذ عن جماعة من الشيوخ بحضرموت، ورحل إلى الشحر وغيل باوزير لطلب العلم؛ كما رحل إلى عدن؛ وأخذ عن الشيخ باشكيل؛ ثم سافر إلى الحرمين الشريفين سنة ٨٤٩هـ وأخذ عن جملة من العلماء؛ كما دخل زبيد، وأخذ عن علمائها. واشتهر في أول حياته بالعلم، والتحقيق فيه أكثر من اشتهاره بالتصوف وحقائقه، ثم تدرج في علوم القوم حتى غدا فيها مثالاً، وقدوة.

له مجاهدات عديدة، وتصانيف علمية مفيدة منها «معراج الهداية» و«البرقة المشيقة في أسانيد الطريقة» و « الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي »، وكتب أخرى في الفقه، والنحو، والعقائد، وديوان شعر. وانتفع به خلق كثير داخل حضرموت وخارجها . وله اعتناء خاص بكتب الغزالي وخاصة في «الإحياء»، وله حِكَم وعبارات مأثورة ذات أثر قوي على القلوب، ذكرتها كتب التراجم كـ«المشرع» وغيره. وتوفي وهو قائم في منبر الدعوة والعلم عام ٨٩٥هـ ، ودفن بتريم .

وكان من أعظم شيوخ الإمام العدني تأثيراً عليه، حيث كان الإمام العدني يميل إلى عمه الشيخ علي، ويستأنس بقربه، والانتفاع

منه، والأخذ عليه. وقد قرأ عليه جملة من الكتب النافعة، كـ «عوارف المعارف» للإمام شهاب الدين السهروردي، وختمه عليه في مجلسه سنة ٨٧٧هـ، كما ألبسه عمه الخرقة[١]، وأذن له في إلباسها، وأجازه في جميع مروياته وأسانيده[٢]، وزوجه بنته في

---

(١) الخرقة: هي لباس يوضع على رأس المريد كالعمامة أو القلنسوة، وهي رمز للعلاقة الروحية بين الشيخ والمريد، ومبايعة المريد لشيخه، والدخول تحت دائرة حكم الله ورسوله من خلال العلم والعمل، يؤيده حديث الوليد بن عبادة بن الصامت قال: «أخبرني أبي عن أبيه قال: بايعنا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، بأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كان، ولا نخاف في الله لومة لائم».

ففي لبس الخرقة معنى المبايعة. وقد حققنا مطلب الخرقة وأسانيدها واختلاف العلماء فيها في ترجمتنا المطبوعة «الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم» ص٢٩.

(٢) الإجازة: هي سند الرواية في العلوم الشرعية والعلوم الذوقية متسلسلة إلى مصادرها الأصلية، وهي أصل من أصول العلوم وتحقيقها. وكان التلميذ لا يعتبر عند أهل العلم مريداً إلا إذا أذن له شيوخه بواسطة الإجازة مكتوبة أو شفوية، وهي بمثابة الإذن المتسلسل في العلم المجاز فيه، ولها شروط واعتبارات خاصة ذكرها أهل العلم في كثير من مصنفاتهم. وقد أشار إليها في مدرسة حضرموت السيد العلامة عيدروس بن عمر الحبشي في كتابيه «عقد اليواقيت الجوهرية»، و«جواهر اللآل في أسانيد الرجال».

حياة والده [1].

وقال الشيخ علي بن أبي بكر السكران مادحاً فيه [2]:

سلام كنشر المسك بل هو أفخر … وأ ر من شمس الضـحى حـين
ورحمتـه والزاكيـات غـوامر … مضاعفةٌ تغلو وتعلـو وتشـهر
على فخرِ دينِ الله نجلِ عفيفِـه … أبي بكرٍ المفضالِ سِـر ومظْهـر
رعاه إلهـي واحتظـاه عنايـةً … وخصصه في حيطةِ الحِفْظِ مغمر
جزاه إلهي مِن جزيـل عطائِـه … لطائف لا تحُصى تجل وتكْبـر
ومنه يعود النفع في كـل لحظـةٍ … على السادة الإخوان يطمو ويغمر
سلام عليه كل حـينٍ وطرفـةٍ … سلام على الآباء يزكو وينشـر
سقى الله ربعا ضمه وطمى الحمى … سوابغ إفضال من الجـو تمُطـر
وأعطاه تمكينـاً مكينـاً بطاعـةٍ … وحال اشتقاقٍ ما هنالك يبـهر
وحصناً حصيناً من كمال سلامةٍ … ومحضِ نصيحاتٍ تدلّ وتبصـر

(١) أشارت كتب التراجم إلى أن الإمام العيدروس زوج ابنه أبابكر العدني وعمـره عشر سنوات على بنت عمه علي بن أبي بكر السكران، وذلك لبلوغـه مبكـراً بسبب اعتدال مزاجه، وصحة تركيب جسمه، ولأن هذا السن أقل ما يكون فيه البلوغ بالاحتلام، وكان السلف يميلون إلى تزويج أبنائهم وبنا م مبكرين .

(٢) « العقد النبوي » (٢: ١٣٥).

يمد ذوي التسليك همّـة أثرهـا ... بصادق عزمٍ كاملٍ لـيس يفتـر

سرايةَ أحوالٍ يفـيض بسـرها ... على قابلٍ للسر للحب مصـدر

وتخلع بالـمعنى حلى من جمالها ... على كلّ ذي سِر صفا ليس يكدر

وفي شرع خير الخلق يكمل حالكم ... بـتمكين سـر للبرايـا يبصـر

على سر روح الكون معدن سره ... صلاةً مع التسليم دأبـاً تكثـر

وآل وأصـحاب وزوج وعتـرة ... وتابعهم في الهدي بالفضل نغمـر

ونسأله بالـمصطفى نصح توبة ... وحسن ختام بالكمالات يظهـر

لنا وفروع والأصول ومن ـم ... له سبب أو نسبةٌ حـين يـذكر

ودائرة الإسلام فاعمم لـمن ا ... بفياض جود من عطاياك يغمـر

فجودك هطّالٌ وفضـلُك دائـم ... على الكون هتانٌ على الدوب يمطر

بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى ... وما يقتضيه كم يدٍ ليس تحصـر

فنحن بمحض النقص جينا وبالردى ... وأنت بمحض الفضل تعفو وتغفر

بوجهك ربي قد سألناك نفحـةً ... تفيض على أصلي وفرعي وتنشر

على من حوى الإسلام بر ومذنبٍ ... وما في جبال والسهول ومقفـر

أغثهم بغيثٍ منك يا خير مفضلٍ ... وعم به كـل الـبلاد لتغمـر

الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي بكر السكران

ولد بتريم ونشأ ا على غاية من الاجتهاد والـ ـمثابرة. حفـظ القرآن، وحقق العلوم، واستظهر المتون، وبرع في جملة من الفنون. وأخذ عن جملة من شيوخ عصره، وسافر في سبيل الطلب إلى امة اليمن، ودخل زبيد، ورحل إلى الحرمين لأداء النسكين. وأخذ ـا عن علـماء كثيرين. وعرف بكثرة تحريه في العبادة؛ وكان كـثير المداومة على أعمال البر؛ كثير البكاء من خشية اللّه تعالى.

أخذ عنه جملة من الشيوخ من أجلهم ابن أخيه الإمـام العـدني -المترجم له هنا- وهو ثالث الثلاثة بعد والده وعمه علي اعتناء به واهتماماً بتربيته ومراعاته. وقد قرأ عليه جملة من مؤلفات الفقـه، والنحو، ومختصرات العلوم، كما انتفع بتوجيهاتـه، وملاحظاتـه السديدة. وحصل منه على الإجازة في كافة مروياتـه، وأسـانيده العالية، وألبسه، وأجازه، كان آخرها عام ٨٦٧ بتريم [1].

---

(١) ذكر ذلك في « الجزء اللطيف » من « ا موعة العيدروسية » ص٢٢١ قائلا:

(ومنهم السيد المبارك عمي الفقيه أبوالعباس أحمد ابن الشيخ أبي بكـر بـن الشيخ عبدالرحمن؛ وكان من أكمل الأخيار والسادة الأبرار، عظيم المحبة للخـير وأهله وأهل العلـم وطلبته؛ كثير المداومة على الأذكار أثناء الليل وأطراف النهار؛

الشيخ سعد بن علي مذحج

هو الشيخ الجامع بين علمي الظاهر والباطن المربي الناسك سعد بن علي الحضرمي. ولد بتريم ونشأ ا وحفظ القرآن بعد معاناة وشدة ؛ إلا أن أمه بعد ذلك جاءت به للشيخ عبدالرحمن السقاف؛ فقال: (اتركيه عندنا يفتح اللّه عليه)؛ فكان الأمر كذلك، وقرأ على جملة من أكابر الشيوخ؛ فقرأ الفقه على الفقيه جمال الدين محمد بن حكم باقشير، وقرأ على الشيخ عبداللّه بن فضل بلحاج. ترجم له الشيخ علي بن أبي بكر السكران ترجمة واسعة سماها « الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي » فقال: (كانت سيرته اقتفاء الكتاب والسنة متأدبا بأدب القرآن العظيم والنبي الكريم وأفاضل الصحابة).

ألبسني الخرقة الشريفة مرارا عديدة في مجالس مختلفة آخرها سنة سبع وستين وثمان مئة بمسجد أبيه المعروف بتريم حرسها اللّه تعالى وسائر بلاد الإسلام بعد حضرة وسماع، كما ألبسه شيخه وعمه الشيخ عبداللّه بن عبدالرحمن، كما ألبسه أخوه وصنوه الإمام القدوة شجاع الدين عمر صاحب عرف، كما ألبسه والده وشيخه الشيخ عبدالرحمن المذكور).

وسلك مسلك عباد الله الصالحين من العلماء الراسخين. وكان من رجال المجاهدات العظيمة من صيام وقيام وكثرة مراقبة لله، وخشية وصمت عن فضول الكلام، ومحاسبة للنفس مع عمارة الأوقات بما يرضي رب البريات، مع غاية المحبة لآل البيت ولصالحي الأمة والتأدب بآدابهم والشفقة على المسلمين والدعاء لهم.

وبالجملة فالشيخ سعد من رجال الولاية الذين أجمع الثقات على بلوغه مراتب العبودية المحضة، وقضى حياته في خدمة مولاه راضيا مستبشرا مطمئنا حتى دعاه داعي الوفاة ليلة الاثنين ٩ رجب ٨٥٧هـ، ودفن في تربة الفريط بتريم، بعد أن شهدت جنازته جموعا عظيمة من العلماء والصلحاء ومن عامة الأمة الذين حزنوا لفقده، وبكوا لفراقه .

وكان الشيخ سعد أكثر الشيوخ أثراً عليه في صباه، ومالك قلبه وجوارحه في صبحه ومسماه، حتى كان الإمام العدني يقول: (ما كنت أحسب أن أبي إلا الشيخ سعد لكثرة عنايته بي وملازمته لي في صباي؛ حتى كنت إذا بكيت أمروا الخادمة أن تذهب بي إلى المسجد الذي هو فيه معتكف فأسكن إليه. وفي إحدى الليالي قمت من نومي واشتد علي البكاء حتى أيقظت أهل البيت كلهم؛ فأمروا

الخادمة أن تذهب بي إلى الشيخ سعد فخرجت بي إلى باب المسجد وألقتني ورجعت؛ فدخلت على الشيخ سعد في غفلة منـه وهـو مستلقٍ على قفاه فاتحاً عينيه إلى السماء؛ فلـما أحس بي أخـذني وأضجعني وألقى علي ثوبه، وأعطاني قرصاً حاراً من الشعير كأنـه قريب العهد بالتنور، فاشتغلت به حتى غلبـنـي النوم).

ولـما كبر الإمام العدني ازداد ارتباطه بالشيخ سعد وانتفع بـه كثيراً، وأخذ عنه أخذاً تاماً، وألبسه الخرقة الشريفة حال سن التمييز في جمادى الأول سنة ٨٥٧هـ قبيل وفاته بشهرين .

وكان العدني يقول : (أكثر ما يأتيني المدد من اللّٰه سبحانه وتعالى بواسطة الشيخ سعد)، وتوفي الشيخ سعد والإمام العـدني في نحـو سبع سنين من العمر[1]، وكان يقول كلـما رأى العدني في صباه: (سيكون لهذا الولد شأن عظيم).

---

(١) وهذا التحديد لوفاة الشيخ سعد ينتفي صحة ما يتناقله البعض من رمي الشـيخ سعد بالطين من تريم ووصوله إلى عدن والإمام العدني في حلقة الدرس بمسـجده لـما قطع عتم الماء بسواكه كرامة لهما، حيث اتضح أن وفاة الشيخ سعد قبـل سكنى الإمام العدني بعدن، اللّهم إلا إذا كان هناك رجل آخر غير سعد بن علي، وانظر الكلام على ذلك ص١٢٩.

الشيخ محمد بن علي « صاحب عيديد »

هو السيد الشريف الولي العارف بالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن ابن عم الفقيه. كان يعرف بمولى عيديد لسكناه ا؛ وهي شعب في جهة الغـرب مـن تريم، كان رحمه الله من الفقهاء العاملين، والأولياء المتقين؛ قرأ على الشيخ عبد الرحمن السقاف، وعلى الشيخ محمد بن حكم باقشير، وعلى الشيخ عبد الله بن فضل، وغيرهم. وكان متبحراً في جملة من العلوم ومنها علـم الطب والتشـريح، ابـتنى حوطـة في «وادي عيديد»، وبنى ا مسجداً للصلاة. وكان لا يخرج إلا لصلاة الجمعة وزيارة أحد من أهل الخير، وكان يتردد عليه طلبة العلـم ورجال الولاية للأخذ والانتفاع. توفي رحمه الله سنة ٨٦٢هـ ودفن بتريم، رحمه الله رحمة الأبرار[1] .

وقد أدرك الإمام العدني من حياة هذا الإمام عشر سنوات، ونال منه النظر، والدعاء، والإلباس، والإجازة، حيث كان يتـردد بـين

---

(١) « شرح العينية » ص٦٥٢-٦٥٣ بتصرف واختصار.

الحين والآخر على منـزله بصحبة والده الإمام العيدروس بشـعب عيديد. وفي هذه الترددات والزيارات قرأ عليه الإمام العدني وانتفع به، وأشار إلى ذلك العدني في «الجزء اللطيف» عند ذكره لـمشايخه الذين أخذ عنهم سند الخرقة، وحدد ذلك الإلباس بسنة ٨٥٩هـ أو ٨٦٠ هـ.

الشيخ محمد بن عبدالرحمن بلفقيه

أخذ عنه الإمام العدني بتريم وقرأ عليه في علوم الفقه، والتصوف، وغيرها.

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل

أخذ عنه الإمام العدني بتريم منذ بداية طلبه للعلـم بتوجيـه والده؛ وخاصة في علوم الفقه، والحديث. وكانت وفـاة الشـيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج في الخامس من شهر رمضـان سـنة ٩١٨هـ بمدينة الشحر ودفن بـها، أمـا مولـده فكـان سـنة

٨٥٠هـ[١].

الشيخ محمد بن علي باجحدب

حفظ عليه القرآن الكريم بتريم[٢].

الشيخ سالم بن غبري

حفظ عليه القرآن الكريم بتريم[٣].

الشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز

أخذ عنه الإمام العدني ولبس منه الخرقة في مدينة شبام سنة ٨٩٧هـ في محفل عظيم حضره جملة من المشايخ والعلماء[٤].

---

(١) « النور السافر » ص٩٨ .

(٢) ذكر ذلك في « الجزء اللطيف ».

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق ص١٧ .

الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان العمودي

عده الإمام العدني من أشياخه الذين ألبسوه وأجازوه في الإلباس، كان ذلك في أول زيارة قام بها الإمام العدني لوادي دوعن عام ٨٦٧ هـ[1].

الشيخ محمد بن أحمد بافضل

ذكره أيضاً الإمام العدني وعده من كبار أشياخه بما مثاله[2]: ألبسني الخرقة الشريفة وأذن لي في إلباسها بتاريخ شهر محرم الحرام سنة ٨٨٧هـ كما ألبسه شيخه القاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشكيل الأنصاري.

ولد الشيخ محمد بن أحمد بافضل بتريم سنة ٨٤٠هـ، وينسب إلى سعدالعشيرة الحضرمي. وكان له أخذ بتريم وما حولها عن جملة من العلماء، ورحل إلى الشحر والغيل، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن العلامة محمد مسعود باشكيل، ومحمد بن أحمد باحميش، وجد

(١) ذكر ذلك في « الجزء اللطيف » ص١٦ .

(٢) المرجع السابق ص١٨ .

واجتهد حتى برع في العلوم وتصدر، ولـما دخل الإمام العـدني عدناً كان الشيخ بافضل يجله ويحترمه، حتى إنه إذا قدم العدني مـن سفر كان الشيخ يدخل إلى عدن قبله يعلـم أكابر الناس بقدومـه ويأمرهم بالخروج لـملاقاته. ولـما سئِل عن ذلك قال: لتصـل رحمة اللّه إلى الناس بالنظر إليه وبنظره إليهم. وكان السلطان عامر بن عبدالوهاب يجل الشيخ بافضل ويخدمه ولا يرد شفاعته. وكان له مقام واحترام في عدن وما حولها . نظم ذلك الشيخ الشـريف عمر بن عبدالرحمن باعلوي صاحب الحمراء في قصيدة قال فيها :

سلام على شخصٍ به عدنٌ زهت   أبي فضلٍ المشهورِ زينِ الشـمائل
جمالٍ لدين اللّه خـادمِ شـرعِه   دليل طريقِ اللّـه بـدرِ المحافـل

إلى آخر القصيدة .

له مؤلفات عديدة ورسـائل مفيـدة، منـها شـرح تـراجم البخاري[1]، ومختصر لـ «قواعد الزركشي» المعروف « بالمنثور » في أصول الفقه ، ثم شرح هذا المختصر، وكتاب « العـدة والسـلاح

(١) أي: شرح عناوين أبواب البخاري وعناوين فصوله.

لـمتولي عقود النكاح »، وشرح ألفيـة البرمـاوي[1] وغيرهـا، وكانت وفاته يوم السبت ١٥ شوال سنة ٩٠٣هـ بعدن ودفـن بها[2].

الشيخ عبدالله بن أحمد بن علي بامخرمة

ترجم له في « النور السافر »[3]، وذكر ميلاده في رجب ٨٣٣هـ بالهجرين، ونشأ بها وحفظ القرآن ثم رحل إلى عدن لطلب العلـم وتفقه بالإمامين محمد بن مسعود باشكيل، ومحمد بن أحمد باحميش، واجتهد وجد في الطلب، وكان فقيرا لا يملك شيئاً إلا أنه حصـل من العلـم شيئاً كثيراً حتى ساد أقرانه وظهر برهانه وصار عمـدة الفتوى، زوجه أبوشكيل بنته ورزق منها أولادا منهم : الطيب بن عبدالله بامخرمة .

تولى الشيخ عبدالله بن أحمد القضاء بعـدن في عهـد الدولـة الطاهرية، وباشر الوظيفة بنـزاهة تامة، وصدع بالحق، وأقام العدل

---

(١) وهي ألفية في أصول الفقه للإمام محمد بن عبدالدائم البرماوي (ت ٩٣١ هـ).

(٢) وممن ترجم له السخاوي في « الضوء اللامع » (٧: ١٤) .

(٣) « النور السافر » ص٣٠ .

مدة سنتين، ثم عاد إلى حضرموت هارباً من وظيفة القضاء، ثم أعفاه السلطان علي بن طاهر عن القضاء فعاد إلى عدن وأقام بها حتى وفاته في محرم سنة ٩٠٣هـ.

الشيخ أحمد بن عمر المزجد

شيخ الإسلام؛ صاحب العلوم الكثيرة؛ صفي الدين القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن عبدالرحمن ابن القاضي يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن حسان ابن الملك سيف بن ذي يزن المذحِجي السيفي المرادي شهاب الدين الشهير بالمزجد الشافعي الزبيدي؛ نسبة إلى زبيد.

كان من العلماء المشهورين، وأحد المحققين المعتمدين. وكان على غاية من التمكن في مراتب العلوم الإسلامية أصولها وفروعها، ولد سنة ٨٤٧هـ بجهة قرية الزيدية ونشأ بها، وأخذ عن جملة من علماء بيت الفقيه، وتعز وغيرها، وبرع في علوم كثيرة وتميز في علم الفقه حتى كان أوحد وقته. ومن مصنفاته المشهورة «العباب

المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب»[1]؛ وكان للمزجد شغف بالشعر، وله إبداع فيه. ولي قضاء عدن وزبيد، وباشر ذلك بعفة وديانة، وكانت أوقاته على غاية من الترتيب، وكان بينه وبين الإمام العدني اتحاد كلي ولكل منهما إلى الآخر ميل قلبي، وكانت بينهما محبة وتعلق، وجرت بينهما مكاتبات ومواصلات ستأتي عند ذكر المراسلات والأشعار.

وكانت وفاة المزجد في ربيع الآخر سنة ٩٣٠هـ ودفن بباب سهام، ورثاه جماعة من أكابر العلماء والأدباء من تلامذته ومعاصريه.

وقد كان بينهما مساجلات ومراسلات سيأتي ذكر نموذج منها عند الكلام على شعر الإمام العدني ص١٠٧.

الشيخ يحيى **بن** أبي **بكر العامري**

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف » بما مثاله[2]: ومنهم

---

(١) وقد شرحه العلامة شيخ الإسلام أبوالحسن البكري، كما شرحه الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي في « الإيعاب » إلا أنه مات قبل إتمامه، ولا زال مخطوطا.

(٢) « ا موعة العيدروسية » ص٢٢٣ .

سيدي وشيخي الفقيه الإمام الحافظ المحدث الحبر العلامـة الـولي الصالح يحيى بن أبي بكر العامري، ألبسني الخرقة الشريفة عن شيخه الشيخ الشريف المشهور بالـمساوى أحمد بن يحـيى، وأذن لي في إلباسها، وذلك في المسجد المعروف بمسجد الشمسي بمدينة حرض حرسها اللّه عام ٨٨٠ هـ في رحلتي إلى مكة للحجة الأولى(١) .

الشيخ مقبول بن أبي بكر الزيلعي

ويعرف بصاحب اللحية، ذكره في « الجزء اللطيف » (٢).

الشيخ مقبول بن موسى الزيلعي

ذكره في « الجزء اللطيف » (٣).

الشيخ محمد بن عبدالرحمن السخاوي

هو الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه العلامة شمس الدين محمـد بـن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمـد السـخاوي الأصـل

(١) وممن ترجم له السخاوي في « الضوء اللامع » (١٠: ٢٢٤).
(٢) « ا موعة العدروسية » ص٢٢٤ .
(٣) المرجع السابق.

القاهري الشافعي المتوفي بالمدينة المنورة والمدفون بالبقيع بجوار مشهد الإمام مالك.

ولد في ربيع الأول عام ٨٣١ هـ وحفظ القرآن في صباه ، كما حفظ بعد ذلك « المنهاج » للنووي ، وألفية ابن مالك، و«نخبة الفكر» لشيخه ابن حجر في المصطلح، وألفية العراقي في المصطلح كذلك، وغالب «الشاطبية» في القراءات السبعة، ومقدمة الشاوي في العروض. وشارك في علوم الفرائض، والحساب، والميقات، وأصول التفسير، والفقه. وبرع في فنون عدة وأخذ عن نحو أربعمئة شيخ. وأذن له بالإفتاء والتدريس والإملاء. وسمع الحديث على شيخه الشهاب ابن حجر؛ وكان لزيما له، وقرأ عليه الاصطلاح بتمامه، وأخذ عنه علوم الحديث وتصانيفه في الرجال؛ ولم يفارق شيخه ابن حجر حتى مات .

ثم أخذ يجوب البلاد للنفع، والانتفاع، وزيادة الأخذ، وطلب السند؛ ثم عاد إلى الحرمين الشريفين وجاور بمكة وأخذ عن علمائها .

وتصدر للتدريس، والإفتاء، والإملاء؛ وله تصانيف عديدة، منها «المقاصد الحسنة»، و« فتح المغيث بشرح ألفية الحديث »، و« القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع »، و« الضوء اللامع لأهل

القرن التاسع »، و«المنهل العذب الروي في ترجمة الإمام النووي»، و« الجواهر والدرر » في ترجمة شيخه ابن حجر، وغيرها من المؤلفات[1] ، توفي عام ٩٠٢ هـ رحمه اللّه.

الشيخ أحمد بن أحمد الشرجي

هو الشيخ العلامة الفقيه الأجل شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف بن أبي بكر الشرجي الحنفي، ولد سنة ٨١١هـ وسمي باسم والده، وأخذ عن جملة من العلماء كالشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد، والنفيس العلوي، والتقي الفاسي، وعلي ابن الجزري، وأبي الفتح المراغي وغيرهم.

له مجموعة من المؤلفات أغلبها في علم الحديث؛ ومنها «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح»، وهو أشهر كتبه في الحديث، وله «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص» في تراجم الصوفية من أهل اليمن.

كان ميلاده بزبيد ووفاته ا ربيع الثاني سنة ٨٩٣هـ ـ الموافق

(١) « النور السافر » ص١٩ .

١٤٨٧م[1]، اجتمع الإمام العدني بالفقيه الشرجي في مدينة زبيد وهو في طريقه إلى الحج سنة ٨٨١هـ، واعترف كل منهما للآخر بالفضل، واستمد كل منهما من صاحبه وأخيه، وكان الإمام العدني قد سمع عن كتابه «طبقات الخواص» فطلبه منه عارية للمطالعة، ولما فرغ منه كتب إليه: صدر إليكم الكتاب، وقد حل عندي بمحل عالٍ وخطرت على البديهة أبيات عاطلة، ومثلك من يصلح ما اختل، ويتجاوز عمن أساء، وكان مطلعها:

شهاب الدين قد أحييت ذكراً لأرباب الكمال وزدت فخراً
فقد نظمته عقداً ثميناً حوى كم جوهرٍ غال ودرا[2]

الشيخ أبو القاسم المكي

وهو من جملة شيوخه الذين ذكرهم في « الجزء اللطيف »، وأشار إلى أنه لبس منه الخرقة الشريفة، وأذن له في إلباسها بإسناده الذي أورده متصلا إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني وذلك سنة ٨٨٠هـ.

---

(١) عن مقدمة تحقيق « طبقات الخواص » لعبدالله الحبشي .

(٢) الديوان، « المجموعة العيدروسية » ص٣١٤ ، وممن ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» (١: ٢١٤) .

عام رحلته إلى الحج.

الشيخ عبدالله بن عقيل باعباد

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف »[1]، وأشـار إلى لـبس الخرقة الشريفة عند ذكره لسنده إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وأنه أذن له في إلباسها بذلك السند.

الشيخ عبداللطيف بن أحمد الشرجي الزبيدي الحنفي

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف » ضمن مشـايخه الـذين ألبسوه الخرقة الشريفة، وأذن له في إلباسها، وذلك عام ٨٨٠هـ ـ بمدينة زبيد خلال زيارة الإمام العدني له في منـزله، تـوفي عـام ٩٢٨هـ [2].

---

(١) « الجزء اللطيف » ص١٨ .

(٢) المرجع السابق، وممن ترجم له السخاوي في « الضوء اللامع » (٤: ٣٢٢) .

الشيخ عفيف الدين عبداللطيف بن موسى المشرعي

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف »[1] من جملة مشايخه الذين ألبسوه الخرقة، وأذن له في إلباسها بسـندها المتصـل إلى الشـيخ عبدالقادر الجيلاني[2].

الشيخ الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد الدهماني القيرواني

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف »[3]، وأشار إلى أنه لـبس منه الخرقة الشريفة وأذن له في إلباسها بتاريخ محرم الحـرام سـنة ٩٠٤هـ بمكة المكرمة؛ متصلة بسندها إلى الجنيد رضي اللّه عنه.

الشيخ أبوبكر الشهير بأبي حربة

ذكره أيضا في « الجزء اللطيف » بما مثاله: ومنهم سيدي وشيخي الولي ابن الولي الشيخ المحجوب أبوبكر الشهير بأبي حربة؛ ألبسـني الخرقة الشريفة وأذن لي في إلباسها سنة ٨٨٥ هـ سـنة حجـتي

---

(١) المرجع السابق.

(٢) « الضوء اللامع » للسخاوي (٤: ٣٣٩).

(٣) « الجزء اللطيف » ص٢٠ .

الأولى إلى مكة بإسناده إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني .

الشيخ موسى بن عبدالرحمن ((**صاحب أرحب**))

وهو من أجل الشيوخ الفقهاء الأفاضل؛ كان له الارتباط الوثيق بالإمام العدني، وللإمام العدني كامل الارتباط به. وكانت بينهما مكاتبات ومساجلات حفظ منها ديوان الإمام العدني قصيدة واحدة بعثها صاحب الديوان للشيخ موسى جواباً على كتاب وصل إليه منه طلب فيه ((صاحب أرحب)) الإذن في دخول عدن لزيارته والتماس بركاته ودعائه، فأرسل أبياتا قال في مطلعها:

أهلاً بكم ومرحب يا ساكنين أُرحب بل ساكني فُؤادي
قربتم ونا اقرب إليكم وأطرب في خالص الودادِ

ومع أن الشيخ موسى المذكور متأدب مع الإمام العدني ومتواضع لمقامه السامي ؛ إلا أن كلا منهما يعتبر الآخر من شيوخه، وهكذا كان السلف يأخذون عن أهل العلم، والتقى، والصلاح ولو كانوا أقل سناً وأدنى مرتبة.

الإمام العدني والآخذون عنه تلمذة وصحبة

اتسعت دائرة الأخذ والتلقي عن الإمام العدني بحضرموت وسائر مناطق اليمن والحجاز وزيلع، وغيرها من البلاد التي زارها ، وكثر مريدوه إلا أن تقييد الآخذين جمعاً لم يتهيأ لمعاصريه كما هو حال الذين صحبوه وخدموه وتعلقوا به، وقد جمعت كتب التراجم التي بين أيدينا جماعة من تلامذته وأصحابه، فاقتطفنا منهم بعض النماذج، ومن هؤلاء :

الشيخ عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران

وهو ممن حسنت له الصحبة والارتباط مع تمام الانطواء والأخوة في ذات اللّه تعالى ظاهراً وباطناً مع ابن عمه الإمام أبي بكر العدني.

ولد نفع اللّه به عام ٨٥٠هـ بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، ونشأ نشأة الصالحين في أسرة صالحة ومجتمع صالح، مجتمع تريم النوراني، مجتمع أسهم في تقوية وجهته، وجبلته لاستجابة نداء فطرته، للقيام بطاعة ربه، والاهتمام بالمجاهدة وتزكية النفس بتوجيه وعناية شيوخه وأسرته.

حتى ذكر أنه كان يخرج في صباه من آخر الليل كل يوم مع ابن

عمه الإمام أبي بكر العدني إلى بعض شعاب مدينة تريم يصليان ويقرآن في صلاتهما عشرة أجزاء من القرآن كورد يومي لكل واحد منهما في صلاته، فإذا ما طلع الفجر نزلا إلى الصلاة في المسجد مع الإمام العيدروس، وكانت هذه الألفة والأخوة في الله تعالى بين الإمام العدني وابن عمه عبدالرحمن بن علي بارزة منذ ذلك العمر المبكر.

قرأ الشيخ عبدالرحمن بن علي على والده كتباً عديدة في شتى الفنون، ومنها في علوم الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف، وحقق « إحياء علوم الدين » تحقيقاً، وكرر قراءته على والده عدة مرات، قيل: إنها بلغت أربعين مرة.

كما أخذ عن جملة من مشايخ عصره، وغالب شيوخه هم أيضاً شيوخ ابن عمه الإمام العدني، وخصوصاً في الأسفار والرحلات التي تصاحبا فيها إلى الحج.

ومنها رحلتهما إلى الحج سنة ٨٨٧هـ وفيها اجتمع بالشيخ يحيى العامري بمدينة زبيد، وبالشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الشرجي، والشيخ شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد.

وفي الحجاز اجتمع بالحافظ السخاوي، وأخذ عنه السند والإجازة، وفي رحلات أخرى أخذ الشيخ عبدالرحمن عن جملة من

رجال عدن كالشيخ محمد بن أحمد بافضل، والفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل، وأخذ عن الفقيه الدوسي.

ولما استقر الإمام العدني بعدن ظلت الأواصر الحميمة بينهما على غاية من المتانة والتجدد، ويبدو ذلك واضحاً من خلال تتبع ما أبقاه الزمن من مكاتبتهما وآثارهما الشعرية والنثرية، وسنذكر من ذلك نبذاً في قسم النثر والشعر.

الشيخ عمر بن عبدالله العيدروس

ولد سنة ٩٢٦هـ وتوفي بعدن في شهر محرم الحرم ١٠٠٠هـ ودفن في قبة الإمام العدني مجاوراً لقبره من الجانب الجنوبي.

أخذ السيد عمر عن الإمام أبي بكر العدني أخذاً تاماً، وانتفع به، وتزوج من ابنته الشريفة مزنة، واشتهر بالجهة اشتهاراً عظيماً، وأشير إليه بالأصابع لكرمه وحلمه.

تصدر في مسجد جده بعدن بعد وفاة أخيه السيد محمد بن عبدالله بمكة عام ٩٧٨هـ فقام من بعده بالمقام خير قيام، وكان شديد التواضع كثير الاجتهاد في العبادة حتى قيل: إن أحداً مدحه بقصيدة في مجلسه العام فغضب وأمر بإقامته من المجلس.

وليس للإمام العدني ذرية متسلسلة إلا من جهـة السـيد عمـر المذكور[1] لتزوجه بالسيدة مزنة المشار إليها سلفاً. وقد كانت وفاته سنة ٩٦٧هـ رحمه اللّه[2].

الشيخ شيخ بن عبداللّه العيدروس

وهو ممن أخذ وانتفع وتلقى العلوم والفهوم عـن أخيـه الإمـام العدني، كان رحمه اللّه من أعيان الصالحين، ومن خواص عباد اللّه المخلصين، حسن الأخلاق والشيم، جميل الأوصـاف، معـروف باللطف والكرم.

ولد بتريم، ونشأ ا تحت رعاية روحية عالية قام ا نحوه والـده وأعمامه وشيوخ عصره، ولـما بلغ من العمر أربعة عشر عامـاً طلبه أخوه الإمام أبوبكر العدني أن يأتي إلى عدن لطلب العلـم

(١) ومنهم نجله السيد أحمد، وقد ذكر الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر » ص٤٥٤ أن السيد أحمد بن عمر بن عبداللّه العيدروس خلف والده في المقام، وكان قد جملـه اللّه بعقل كامل وزينه بفضل شامل، له أخلاق ألطف من نسيم السحر، وأوصاف كالـمسك إذا انتشر، وعلـم فائض زخار، وفضل يتدفق تدفق الأ ار..إلخ.

(٢) « النور السافر » ص١٣٢.

الشريف، فارتحل إلى عدن، وحفظ القرآن ـا علـى المعلــم عبدالرزاق الخطيب، ثم أذن له الإمام العدني بالسفر إلى تريم فرجع ومكث ا نحو خمس سنوات، ثم عاد مرة أخرى إلى عدن، ومكث ا ملازماً لعمه ومتلقياً عنه ومنطوياً فيه أربعة أعوام، نال فيها من النور والعلـم الفيض الكبير، كما نـال الإجـازة في الأسـانيد وروايتها، وفي سائر العلوم، وأخذ عنه علـم الحقائق، وألقـى في قلبه سر الرقائق، حتى عرف الطريق.

وكتب له الإمام العدني وصية نفيسة جاء فيها : لا تلتفـت إلى الترهات، ولا تغبط أهل الجاهات والرياسات، وقل : يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين.

ولـما توفي الإمام العدني عاد إلى وطنه تريم، وحصل به النفـع العميم، وكان يقول : ما يغيب عني سيدي وشيخي أبوبكر لحظـة واحدة.

وقد كان له المدد والانتفاع أيضاً من والده الإمـام العيـدروس، وعمه الشيخ علي، وعمه الشيخ أحمد ومن في طبقتهم، أخذ عنهم أخذاً تاماً وتخرج م.

وبعناية المولى يأت له أسباب الصدارة، ونال البشارة، فكان بقية

حياته من رجال الإحسان الذين يشار إليهم بالبنان، حتى أدركته المنية في أول محرم الحرام ٩١٩هـ ودفن بتريم، رحمه اللّه رحمة الأبرار.

الشيخ الحسين بن عبداللّه العيدروس

وهو ممن انتفع وارتبط وثاقه بأخيه الإمام أبي بكر العدني، ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وكانت ولادته سنة ٨٦١هـ، ونشأ نشأة صالحة في بيت علم وتقوى، وتدرج في الأخذ بالعلوم الشرعية واللغوية من جملة من مشايخ عصره ورجاله دهره.

رحل لطلب العلم، وجاور بمكة سنتين، وتردد إلى المدينة لزيارة جده سيد الكونين، ثم عاد إلى حضرموت، ومكث ا على غاية من الاستقامة والزهد.

وكان كريماً سخياً جواداً كريماً مكرماً للفقراء والمساكين، حتى أثر عن الإمام العدني قوله فيه: الشيخ الحسين أكرم مني، فقيل له في ذلك، فقال : ينفق في ضِيق لكونه بحضرموت، ونحن ننفق من سعة، فهو بذلك أكرم مني.

كان من جملة شيوخه الذين انتفع م والده، وأخذ عن الفقيه

عبداللّه بن أحمد باكثير، والقاضي إبراهيم بن ظهيره، والفقيه محمد بن عبدالرحمن الأسقع، والفقيه العلامة عبدالهادي السودي قبل أن تصيبه الجذبة الإلهية، كما كانت له اليد الطولى في علم الفلك والقراءات، وكان يحقق قراءة الشيخين نافع وأبي عمرو.

توفي رحمه اللّه تعالى بتريم في ١٦ محرم سنة ٩١٧هـ، وفيه قال القائل:

إن الحسين تواترت أخباره　　في فضله عن سادةٍ فضلاءِ
غيثٌ يسح على العفاة سحابه　　سحاً إذا شحت يد الأنواءِ
تالٍ لآثار النبي محمدٍ　　متمسكٍ بالسنة البيضاءِ
ورِثَ المكارم والعلى عن سادةٍ　　ورثوا عن الأسلاف والآباءِ[1]

الشيخ عبداللّه بن شيخ بن عبداللّه العيدروس

وهو ممن انتفع كثيراً وارتفع بالإمام العدني منذ صباه، فقد ذكر في «العقد النبوي» أنه ولد - أي الشيخ عبداللّه - بحضور الشيخ أبي بكر، حيث كان ميلاده أيام الخريف بالنخل المسمى نعيمة

(١) «تاريخ الشحر» ص٩٤.

بوادي دمون، فجاء الشيخ أبوبكر بعد أن بشره به وأهدى البشـير ثوباً وأخذ المولود وحنكه بتمر بيده المباركة، وستره بخرقـة مـن صوف وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى اتباعاً للسنة، وقـال لأخيه السيد شيخ : هذا ولدي، هذا يرثني، احتفظوا بـه حفظـه الله(١).

ولد سنة ٧٨٧هـ وأخذ نصيباً وافراً من علوم عصره على جملة من المشايخ، وحقق كثيراً منها، وارتقى في مراقي الطاعات والأوراد والعبادات حتى شهد له الخاص والعام في مقتبل العمـر بظهـور إشارات الولاية، وكان من أبرز شيوخه والده الشيخ شـيخ بـن عبدالله العيدروس، وعمه الشيخ الحسين بن عبدالله العيـدروس، ولـما بلغ من العمر أربعة عشر عاماً وصل كتاب من عمه الشيخ أبي بكر العدني إلى أخيه الشيخ شيخ بن عبدالله العيدروس يحـرض عليه بإرسال ولده عبدالله إلى عدن، ومن جملة من كتبه في الرسالة: أريد أن يكون نظري عليه، فامتثل أمر أخيه، وأرسل بولده عبدالله إلى عدن ففرح الإمام العدني بوصوله واستبشر به، وأمـر الشـيخ

(١) « العقد النبوي » (٢: ٣١٨).

الصالح عبدالرزاق الخطيب أن يعلـمه القرآن حفظـاً وتحقيقـاً، ويعرض ما يقرؤه على عمه الشيخ أبي بكر كل يوم إلى أن خـتم المصحف.

ثم عاد إلى تريم بعد أن قضى عامين كاملين تحت رعايـة الإمـام العدني، وفي تريم مكث خمسة أعوام لدى والده، ثم عاد إلى عـدن وارتبط بشيخه الإمام العدني، الذي هذبه، وأدبه، وسقاه من شراب المعرفة بالله وحسن اليقين وكمال العبودية مـا رفعـه إلى مقـام الرجال، ولـم يزل كذلك ملازماً ليله و اره لشيخه وخاصة بعد أن احتجب الإمام العدني في منـزله أخريات عمره، واحتـاج إلى من يلازمه للخدمة، فكان الشيخ عبدالله أهـلاً لتلـك الخدمـة، وراغباً فيها، وكان له فيها منه المدد والسر ما لا يوصف حتى لفظ الإمام العدني أنفاسه الأخيرة، ورأسه على فخذ الشيخ عبدالله.

وعزم الشيخ عبدالله على السفر إلى حضرموت، وتـزوج ـا، واستقر مدة من الزمن حتى طلبه ابن عمه السيد أحمد بن أبي بكـر أن يأتي إلى عدن، فتوجه سنة ٩١٧هـ واستقبله الشـيخ أحمـد أحسن استقبال، وقام بواجبه، وعقدت مجالس الأنـس والصـفا، يتذاكران فيها أحاول الإمام العدني مدة من الوقت، ثم عاد إلى تريم،

ومنها سافر بعد وفاة الشيخ أحمد بن أبي بكر العيدروس إلى الهند، وهناك ظهر أمره لدى سلطا ا مظهر بن محمود، وعـاد إلى تـريم معززاً مكرماً، وتوجه إلى عدن أيام الأمير مرجان الظاهري، وظهر في عهده بأمر التعليم والإرشاد للخاص والعام مدة مكوثه بعـدن، وصار يتردد بين حضرموت وعدن.

ومنها سفره في عهد الشيخ عبدالـملك بن طاهر سنة ٩٢٧هـ ومكثه ا حوالي تسع سنين على غاية من العزة والتقـدير عنـد حكامها وأمرائها وعلـمائها وعامة الناس، وعاد إلى تـريم سـنة ٩٣٣هـ وأقام ا حتى تحرك عزمه إلى الحج سنة ٩٣٧هـ، فتوجه إلى عدن ومكث ا سنة وزيادة، وكان سلطا ا عامر بـن داود، ثم توجه إلى الحج سنة ٩٣٨هـ وتـم له أداء المناسك وزيارة قـبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلـم، ومكث بالحرمين يمد ويستمد حتى عام ٩٣٩هـ فحج مرة أخرى، ثم عاد إلى عدن بطريق البحر، ومكث ا حتى سنة ٩٤٣ هـ، فتجهز للسفر إلى تـريم وتوجـه للسفر بطريق البر إلى خنفر ومنها إلى أبين، وزار الشـيخ ابـن أبي الجعد، ومنها إلى قرية المسجد المعروفة الآن بالشيخ سالـم، وزار قبر الشيخ سالـم، ومنها إلى أحور، وزار ا الشيخ أحمد بلجفار،

ومنها إلى ميفعة، وإلى قيدون، ثم إلى تريم في ذي الحجة ٩٤٣هـ، وبقي بها حتى وفاته في ١٤ شعبان ٩٤٤هـ ودفن بمقبرة أهله وسلفه.

الشيخ أحمد المساوى ابن أبي بكر العدني

وهو الوارث لأبيه وحامل الراية من بعده، القائم بالمقام بعد أبيه خير قيام، والناهض بما نهض به آباؤه الكرام.

ولد بتريم سنة ٨٨٢هـ ونشأ بها آخذاً أوليات العلوم ومتلقياً عن مشايخه مخدرات الفهوم، وكان والده الإمام العدني يكاتبه من عدن ويحثه على الطلب[1]، أشار إلى ذلك الإمام الحداد في «مكاتباته» (٢: ٥٠١) بما مثاله: وقد رأينا سابقاً في كتاب من سيدي الشيخ أبي بكر صاحب عدن لولده الشيخ أحمد وهو بتريم يحثه فيها على أن يقرأ شيئاً من النحو على الفقيه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل. اهـ.

ثم رحل إلى عدن وقام بخدمة والده وملازمته والقراءة عليه حتى

---

(١) نقلت الترجمة عن الجزء الثاني «العقد النبوي» باختصار وتصرف.

برع في العلوم وتضلع من علوم القوم، ولبس من والده الخرقة ونال الإجازات في الأسانيد العالية وروايتها.

أرسله والده إلى زيلع، مجاوراً لسلطانها بعد طلبه لذلك، وناشـراً للعلـم بها، وقائماً بأمر الدعوة إلى اللّه، وكان السـلطان إذ ذاك ناصر الدين الحلواني، وهو من المحبين للإمام العدني المـتعلقين بـه، وكان الإمام العدني يكاتب السلطان ويدعو له، ويشير إلى ولـده أحمد بما هو أهله أثناء إقامته في زيلع، فمما مدح به ولده أحمد قوله أثناء قصيدة طويلة :

وخص لنا شهاب الـدين حقـاً فنعم القِـرم إن ذُكـر القـروم

سلاماً دائمـاً في كـل حـينٍ لعـــل بحقـــه يومـــاً نقـــوم

إمـــام ســـيد حـــبر فريـــد وعند الغيظ ذو عفـوٍ كظـوم

كريم الأصل من سـلفي معـد جزيل الحلـم إن ضاعت حلوم

له القَـدح المعلّـى في المعـالي وبحـر مـا لـه أحـد يعـوم

يجيب دعاءه ذو العـرش حقـاً ومن نفَثاتِـه تشـفى الكلـوم

له كـف تلقـف كـل سـقمٍ عصا موسى النبي نعـم الكلـيم

رعاه اللّـه مـن ولـدٍ بريـرٍ كلاه اللّه مـا طلعـت نجـوم

أقر اللّه عيني بالتملي برؤيته وإن رغم الخصوم
وأبقانا الجميع بخير عيشٍ فجود إلهنا جزلٌ عمِيم

ولما ركبت الإمام العدني الديون لكرمه وجوده هيأ اللّه السلطان ناصرالدين عبداللّه باحلوان لقضائها، فبعث بالأموال مع الشيخ أحمد المساوى، ذكر ذلك صاحب « العقد النبوي »[1] بقوله: ثم لما أراد اللّه سبحانه وتعالى قضاء دين سيدي الشيخ شمس الشموس أبي بكر بن عبداللّه العيدروس أيقظ اللّه له قلب ناصر الدين بن عبداللّه باحلوان، فأرسل من زيلع صحبة ولده الشيخ أحمد بجميع قضاء الدين وزيادة، فوصل السيد أحمد إلى عدن في رمضان إلى بيت السعادة وقضى جميع الدين الذي على سيدي الشيخ أبي بكر، ونادى المنادي بالأذان في أزقة عدن : من له دين على سيدي الشيخ أبي بكر العيدروس فليحضر الآن . وسافر سيدي الشيخ أحمد بن أبي بكر في النصف من رمضان إلى زيلع[2] .

وبقي الشيخ أحمد المساوى بزيلع حتى توفي والده الإمام العدني، ولما بلغه خبر الوفاة رجع إلى عدن وقام بالمقام أتم قيام،

---

(١) « العقد النبوي » (٢: ٣٢٣) .

(٢) المرجع السابق (٢: ٣٢٣-٣٢٤) بتصرف واختصار.

وأحيا الرواتب التي كان أنشأها والده والأوراد، وواظب على مـا كان عليه أبوه من إطعام الطعام، وصلة الأرحام، والإحسـان إلى الفقراء والأيتام.

قال الشيخ بحرق في « مواهب القدوس »[1]: وكأنه - أي الشيخ أحمد - رؤي بعد موت والده كأنه حمل أباه على كتفه . وتوقف عن تأويلها، فكان تأويلها قيامه بمقام أبيه بعـدن وبمقـام جـده بحضرموت، وعاش الشيخ أحمد بعدن على غاية من العز والفضل، كريما سخياً جواداً كاظماً للغيظ، يشهد له بذلك من عاشره مـن أصحابه.

وقال في موضع آخر[2]: ولقد صدر من بعض المنسوبين إلى أبيـه يوماً ما لا يصبر عليه إلا أمثاله، ولا يصفح عنه إلا أشكاله، فأعرض عنه، فعرضت عنده بما لذلك الشخص إلى أبيه من النسبة والخدمة والصحبة خشية أن يبادر إليه مما هو من طبع البشر، فقـال : إنـا لنراعي ما كان لوالدي من الدواب فضلاً من الخدام كأصـحابه، ولـم يكافئه إلا بالجميل والإحسان، ولا أحرمه الدخول في زمرة

---

(١) « مواهب القدوس » ص٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥ .

المحبين والإخوان.

وقد أثبت الإمام العدني في خاتمة رسالة « الجزء اللطيف » ما يشير إلى تقديمه لولده أحمد المساوى والإذن له في إلباس الخرقة بسندها إلى المشايخ، وذلك يوم الجمعة الخامس من شهر شوال ٨٩٤هـ.

وتوفي الشيخ أحمد في آخر شهر المحرم ٩٢٢هـ بعدن، ودفن بجوار والده الإمام العدني من جهة اليمين، وعمره إذ ذاك ست وأربعون سنة تقريباً.

وكان له ولدان توفيا قبله فانقطع بموته نسله، ولم يورث من بعده أحداً، رحمه اللّه رحمة الأبرار.

الشيخ محمد بن عمر بحرق

وهو من خواص الآخذين والمتعلقين بسيدنا الإمام العدني، ولد ليلة النصف من شعبان سنة ٨٦٩ هـ بحضرموت ونشأ ا وتلقى بدايات العلوم الشرعية واللغوية، وحفظ القرآن العظيم واجتهد في تحصيل المعارف وتحقيقها، وأخذ عن جملة من مشايخ الوادي كالفقيه محمد بن أحمد باجرفيل، ولما ارتحل إلى عدن لازم الشيخ عبداللّه بن أحمد بامخرمة وقرأ عليه في الفقه وأصوله وفي العربية حتى

كان جل انتفاعه به، كما أخذ بعدن عن الفقيه محمد بـن أحمـد بافضل.

وارتحل إلى زبيد وأخذ عن علـمائها كالعلامـة زيـن الـدين محمد بن عبداللطيف الشرجي، والفقيه جمال الدين بن محمد بـن أبي بكر الصائغ، وأخذ عن السيد الحسين بن عبدالرحمن الأهـدل، وهو الذي ألبسه خرقة التصوف، وسمع من الحافظ شمـس الـدين السخاوي بمكة، وبدع في النظم والنثر والخطابة، وكان كريماً محسناً لطلاب العلـم، ومحباً للخير متصفاً بالإنصاف رجاعـاً إلى الحـق مواظباً على أفعال الخير.

صحب الشيخ أبابكر العدني العيدروس، وأخذ عنه، وانتفع بـه غاية الانتفاع، وكتب ترجمة حافلة عن حياته سماهـا « مواهـب القدوس في مناقب ابن العيدروس » .

تولى القضاء بالشحر، ثم عزل نفسه، ورجع إلى عدن، ولقي بـها قبولاً، وخاصة عند أميرها مرجان بن عبدالله الظـافري، ولـما مات مرجان عزم الشيخ بحرق إلى الهند ووفـد علـى سـلطان مظفر بن محمود، فقربه وفرح به وأنـزله المنـزل اللائق به.

للشيخ بحرق عدة مصنفات ذكرها كتاب « النور السافر »، كما

له عدة أشعار جيدة منها شعر رقيـق في السـلطان عـامر بـن عبدالوهاب حين شرع في بناء مدارس في زبيد.

كما مدح شيخه الإمام أبابكر العدني بقصائد عديدة منها قصيدة على الشعر الغنائي جاء في مطلعها :

شـــابيح بـــالغرام كم ذا تسـتر بعشـقي
وارفـــع ذا اللثـــام أوخذ نصيبـي ورزقي(١)

كما أن له قصيدة عظيمة سماها « العروة الوثيقة في الجمـع بـين الشريعة والحقيقة »، وشرحها شرحاً حسناً سماه « الحديقة الأنيقة » مطبوع.

توفي الشيخ بحرق بحيدر آباد بالهند في ٢٠ شعبان ٩٣٠هـ ودفن ا، رحمه اللّه رحمة الأبرار.. آمين.

---

(١) « النور السافر » ص١٤٩، وليلاحظ القارئ أن هذه القصيدة من الشعر الغنائي الذي سيأتي بيانه عند الكلام على نماذج من شعره .

الشيخ الحسين بن الصديق الأهدل

هو العلامة الفقيه بدر الدين الحسين بن الصديق بن الحسين بن عبدالرحمن الأهدل اليماني، ولد في ربيع الثاني سنة ٨٠٥هـ بأبيات حسين من ائم اليمن، ونشأ ا، وحصل على العديد من العلوم في صباه، واشتغل بعلم الفقه على الفقيهين أبي بكر بن معيض، وأبي القسم بن عمر بن مطير، وغيرهم.

ترجم له في «النور السافر»، وأفاض في ذكر مشايخه وعددهم، حج عام ٨٧٢هـ، وجاور مكة عاماً كاملاً [(١)]، وأخذ عن جماعة من علماء الحرمين، وعبر على زبيد، فأخذ عن الشيخ يحيى العامري، وحقق عليه «المنهاج»، كما قرأ على الحافظ السخاوي

---

(١) حكي أنه لما زار النبي صلى اللّه عليه وسلم وقف أمام القبر الشريف وأنشد قصيدة يقول فيها :

إن قيل: زرتم بما رجعتم   يا سيد الرسل ما نقولُ؟

فسمع الجواب من الحجرة الشريفة :

قولوا: رجعنا بكل فضلٍ   واجتمع الفرع والأصولُ

وانظر القصة في «تاريخ الشحر» ص٣١، ٣٢.

بمكة، وذكره السخاوي في «الضوء اللامع».

دخل إلى عدن وأقام ـا، وانتفع به خلق كثير، ومنـهم الشـيخ الفقيه محمد الطاهر بن عبدالرحمن ابن عبدالرحمن ابـن القاضـي محمد بن مسعود باشكيل[1] .

ولـما وصل الإمام أبوبكر العدني إلى عدن أنكر الشيخ حسين مظهره وحاله مدة من الزمن، ثم لـما تحقق له عظم حاله وصدق مقاله، وامتلأ قلبه بسواطع أخباره، تأدب له وانطوى فيه، وصحبه وأنشأ في مدحه قصائد عديدة منها [2]:

من الحسان الخُـرِدِ قد صـادني غَرِيـر يرمي بقوس حاجبٍ

وأنشده إياها [3].

وقد توفي الشيخ الحسين بعدن ودفن ـا، وقـبره معـروف في المسجد المسمى باسمه، وكانت وفاته ليلة الاثنين أول القعدة الحرام سنة ٩٠٣هـ، رحمه اللّه رحمة الأبرار.

---

(١) « تاريخ الشحر » ص٣٤.

(٢) « العقد النبوي » ص٢٧.

(٣) للقصة تتمة في « تاريخ الشحر » ص٣٢ آثرنا اختصارها.

الشيخ محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني

من أفاضل العلماء العاملين، والشيوخ المخلصين، ولد يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ٨٢٠هـ، أخذ أوليات علومه عن جماعة من الشيوخ الأكابر، وتفقه وأحسن الوجهة في الطلب، واعتنى من بدايات حياته العلمية بالتصوف علماً وعملاً، حتى ظهرت عليه آثار العمل، ونطق لسانه بعلوم الذوق مبكراً، ولازم الشيخ الكبير علي بن أبي بكر السكران ملازمة الظل للشاخص مدة أربعة أشهر راغباً في أن يسمع منه عبارة : أنت منا أهل البيت، كما قالها النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لسلمان الفارسي رضي اللّه عنه؛ لكن الشيخ علي لم يجبه لذلك حتى ألح عليه في الطلب وتحقق لدى الشيخ علي صدقه في محبته، فقال له: يا فقيه إن الدين النصيحة، لا يجيبك إلى مقصودك هذا إلا الشيخ أبو بكر بن عبداللّه «صاحب عدن»، فإنه القطب الوارث من صغره بعد موت أبيه، ونحن نكتب لك إليه أن يجيبك إلى مرادك، فكتب الشيخ علي إليه، وكتب إليه الشيخ باجرفيل، فأتاه منه الجواب بنيل القصد والمراد.

وعاش الشيخ باجرفيل حياته باذلاً وقته للعلم والتدريس،

واستقر أخريات حياته في غيل أبي وزير من أعمال الشحر حـتى توفي ا في شهر ربيع الأول من عام ٩٠٣هـ رحمه اللّـه رحمـة الأبرار.

الشيخ جار اللّه ابن فهد

هو المؤرخ العلامة الشيخ جار اللّه محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، ويعرف كسلفه بابن فهد.

ولد بمكة سنة ٨٩١هـ ونشأ ا في كنف أبويه، فحفظ القرآن، وطلب العلـم الشرعي، وسمع من الحافظ السخاوي، ومن المحـب الطبري، وحصل على الإجازة من جماعة من العلـماء، منـهم الشيخ عبدالغني النابلسي.

كما توجه إلى المدينة المنورة مع والده، وجاور ا، وسمـع مـن والده تجاه الحجرة الشريفة كتب السنة و«الشفاء» للقاضي عياض، وسمع على السيد السمهودي بعضها، ومنها تاريخ « وفاء الوفـا »، وفتاوى السمهودي، ولبس منه الخرقة، ثم عاد إلى مكة وتوسع في طلبه للعلـم حتى استوفى ما عند مشايخ بلده، فرحـل إلى مصـر والشام، ودخل حلبا وبيت المقدس، وعاد إلى اليمن، وأخذ إجازات

كثيرة عن خلق كثير، كما دخل بلاد الروم، وتزوج ـا، ورزق الأولاد، ثم عاد إلى مكة، وتصدر ا للحديث حـتى تـوفي عـام ٩٥٤هـ . وكان التقاؤه بالإمام العدني خلال تردده على الـيمن حيث اغتبط بالإمام أبي بكر العدني واستجازه وأخذ عنـه، ذكـر ذلك الشيخ بحرق في «مواهب القدوس» وعده من جملة الآخـذين عن الإمام.

الشيخ عبداللّه بن عبداللّه باقشير

ومن انتفع بصحبة الشيخ أبي بكر العدني العيدروس وأخذ عنـه أخذاً تاماً الشيخ العلامة الفقيه عبداللّه ابن الفقيه عبداللّه ابن الفقيه الإمام محمد ابن الشيخ حكم باقشير الحضرمي الشافعي.

ولد بحضرموت، ونشأ ا مترقياً في الأخذ بـالعلوم، ومجالسـاً لصلحائها، وعلـمائها، وأوليائها، حتى صار من الأئمة المحققـين، والعلـماء العاملين، والفقهاء البارعين، له تصانيف عديدة، وكتب مفيدة، جمع اللّه له بين العلـم والعمل والورع. ومن كتبه المهمـة «قلائد الخرائد وفرائد الفوائد» وكتاب «السعادة والخير في مناقـب السادة بني قشير» .

توفي الشيخ عبدالله بن محمد باقشير في بلدة قسم بـ العجز سـ نة ٩٥٨هـ .

الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الحلبي

وهو ممن أصابته جذبة العناية الإلهية حتى حولت مجرى حياته من التجارة والأسفار في سبيلها، إلى العلـ م والأخذ عن الشيوخ، ذكر ذلك « النور السافر » بما مثاله : اشتغل أول حياته بالتجارة حـ تى صار من أعيا ا، ثم اختار بعد ذلك طريق الفقر إلى الله، وكان لـ ه خط حسن، فلقي بالـ مسعى بمكة رجلاً من أهل الله، وقال لـ ه: اذهب فقد أعطيناك الخط والحظ، فذهب إلى عدن واتصل بالشيخ أبي بكر، وتتلـ مذ له، ولازمه نحو عشرين سنة، واختص بنظـ ره، وتخرج به، ثم أمره الشيخ أبو بكر بالدخول إلى الهند والإقامة ـ ا، فدخلها وأقام طيلة حياته، وانتفع به خلق كثير، وأخذوا عنه أخذاً تاماً. توفي سنة ٩٥١هـ بحيدر أباد بالهند.

الشيخ محمد بن عبدالله العيدروس

أخذ عن الإمام العدني بعدن، وانتفع به، وتصدر في مسجده بعد

وفاة ولده أحمد المساوى، وسار سيرة حسنة في المقام، ثم ما لبث أن سافر إلى مكة وتوفي ا عام ٩٧٨ هـ.

الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير

وهو من خواص الآخذين والـمتعلقين بالشيخ أبي بكر العـدني، صحبه وانتفع به انتفاعاً كبيراً، ولازم مجالسه العامة والخاصة، وامتلأ به، وخدم ديوانه المسمى «محجة السالك وحجة الناسك» بالجمع والحفظ، وصدره بمقدمة مسهبة عن مناقب الإمام العدني وكراماته التي رآها أو سمع ا في عصره، كما أحسـن في وصـف شـيخه وأحواله العالية، ونقلنا في قسم عاداته وأحواله تلك النبذة المباركة.

الشيخ جوهر بن عبدالله الحبشي

يعتقد أن هناك شخصين يحملان هذا الاسم، أحدهما -وهو المتـأخر زمنا- أخـذ عـن الإمـام العـدني وانتفـع بـه. وأمـا الشـيخ جوهر بن عبدالله الآخر -وهو المتقدم زمنـا- والـمدفون بجـوار مسجده المعروف في عدن -في حارة البصال قديما- فتـذكر مصـادر التاريخ أنه لـم يأخذ عن الإمام العدني، بل مات قبله بمئتين وثـمانين

عاماً، والإشكال حاصل في تشابه الأسماء، ولعل جوهرا المذكور أنه أخذ عن الإمام العدني هو المعروف بالحبشي، وأما الآخر فهو البهاء جوهر بن عبدالله العدني، عاش في عهد الملك المسعود بن أقيس بن محمد بن أبي بكر بن أيوب آخر ملوك الأيوبيين في اليمن، وكان عبداً عتيقاً متسبباً في الخان بعدن، يشتغل بتجارة القماش، وكان معروفاً بالنزاهة والأمانة حسن المعاملة، وهو الذي بنى المسجد المعروف باسمه في حارة « جوهر » بمدينة عدن.

وليس صحيحاً ما يشاع من أن جوهرا كان عبداً للسيد العيدروس، فإن جوهر الأول مات سنة ٦٢١هـ الموافق ١٢٢٨م. وأما جوهر الثاني فهو ممن أخذ عن الإمام العدني.

الشيخ عبدالعليم الحوايجي

أحد المريدين المخلصين وطلبة العلم المتعلقين صدقاً بالشيخ أبي بكر العدني، التزمه وقرأ عليه، وأحسن الارتباط به، وكان بعد تخرجه وانتفاعه سبباً في تأليف «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف»، حيث ذكر أن الشيخ أبابكر العدني نصبه شيخاً وأجازه وحكمه، وطلب الحوايجي من الشيخ أبي بكر العدني أن يمنحه كيفية

التحكيم والإجازة، فجمع الشيخ أبوبكر رسالة « الجزء اللطيـف » استجابة لطلبه وتحقيقاً لرغبته[1] .

الشيخ عبداللّه بن أحمد باكثير « صاحب مكة »

الشيخ الفقيه والحاذق النبيل، ولد بتريم و ا نشأ وتعلـم وتـربى وتفقه على كوكبة من رجال الولاية والرعاية، وفي مقدمتهم سيدنا الإمام عبداللّه بن أبي بكر العيدروس، كما أدرك جزءاً من مظهـر الإمام أبي بكر بن عبداللّه في تريم وعدن، وأخذ عن الابن، كمـا أخذ عن الأب، ثم رحل إلى الحرمين وأقام ا بقية حياته، وكـان دأبه استقبال الوافدين من حضرموت، والاعتناء ـم، وترتيـب أمورهم في مكة والـمناسك.

وقد توفي الشيخ عبداللّه بن أحمد باكثير بمكة ودفن ا ليلة السبت ١٣ ربيع ثاني عام ٩٢٥ هـ .

---

(١) « ا موعة العيدروسية » ص ٢٠٩ .

الشيخ نعمان بن محمد المهدي

ورد خبره وأخذه وتعلقه بالإمام العيدروس العدني في كتاب «العقد النبوي»[1]، وورد أيضاً في «شرح قصيدة: هات يا حادي فقد آنَ السلو»[2]، وذُكر في الكتابين نص لحكاية جرت للمذكور مع سيدنا الإمام العدني ظهر فيها كرامة جلية له ببركة صدق تعلقه، ومفادها باختصار حصول رؤيا منامية للشيخ نعمان وهو مسافر في مركب، وحصل في المركب بعض العطب، ودخل الماء، وأيقنوا بالهلاك، فأخذته سِنة، ورأى الإمام العدني جاء إلى المركب وبيده منديل أبيض فسد الثغرة التي دخل منها الماء، فلما استيقظ بشرهم بالفرج، فكان الأمر كذلك [3].

---

(١) « العقد النبوي » (٢: ١٢٧) .

(٢) ص٦٨ ، الكتاب للإمام عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس المتوفي بمصر عام ١١٩٢ هـ، واسمه « الفتح المبين من أنفاس العيدروس فخر الدين »، ويسمى أيضا « تشنيف الكؤوس من حميا ابن العيدروس » ولا يزال مخطوطا.

(٣) المرجع السابق ص١٤٣ .

الشيخ محمد الطهطاوي المكي

ذكره السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس في « شرح قصيدة: هات يا حادي »[1]، وأشار إلى أخذه وتعلقه بالإمام العدني، وذكر في السياق وقائع كرامة جرت للإمام العدني بعد استماعه لقصيدة مدحه ا أحد التلاميذ.

الأمير مرجان بن عبداللّه الظافري

مولى السلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب، تولى الحكم من بعده، وأظهر الحزم في قيادته وسلطانه، وكان له تعلق كبير وتولع عظيم واعتقاد في الإمام العدني.

وروت عنه بعض كتب التراجم كرامات خارقة أجراها اللّه أمام عينيه لسيده الإمام العدني، وخاصة في الحروب التي خاضها مع سيده عامر بن عبدالوهاب، وجاء في « مواهب القدوس » لبحرق قول الأمير مرجان عن الإمام العدني: لو شئت أن أملي من كرامات الإمام العدني كتاباً مجلداً لأمليت.

---

(١) المرجع السابق ص٩٨ .

وقد صار الأمير مرجان بعد توليه الإمارة صاحب كلمة نافذة حتى على مواليه من آل طاهر الحكام، وكان أهل الجبال بتعز ونواحيها لا يدينون بالولاء لأحد من بني طاهر إلا إذا رضي عنه الأمير مرجان بعدن[1]، وأورد من ذلك ص ١٤٨ ما مثاله : وفيها - أي سنة ٩٢٦هـ - خرج الأمير مرجان من عدن إلى التلاج وصحبته الشريف عبد اللّه بن شيخ بن عبداللّه بن أبي بكر العيدروس، وهلال عتيق الشيخ أبي بكر العيدروس والقائم بتربته، وقدم الشيخ عبد الملك من لحج إلى التلاج، فاجتمع به الأمير مرجان ومن معه فبايعه الأمير وحلف له وأمره بالتقدم إلى الجبل ومقاتلة ابن عمه الشيخ أحمد بن محمد، فإذا صفي الجبل نزل إلى لحج ودخل عدن[2].

وبقي الأمير مرجان وفياً للإمام العدني ولمقامه من بعده، وعلى يده تم بناء رباط العيدروس بجوار المسجد كما ذكره « تاريخ الشحر » ص٨٦.

(١) ذكر ذلك في الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر » بوقائع وردت في ص١٤٦، ١٤٨، ١٥١ .

(٢) « تاريخ الشحر » ١٤٨ .

وكانت وفاة الأمير مرجان بعدن سنة ٩٢٧م ودفن تحت سقف قبة الإمام العيدروس، وفي سنة ٩٧٢ هـ دفن في قبر الأمير مرجان القبطان صفر الرومي الذي جاء في جيش لمحاربة الإفرنج، ومرض في البحر وعاد إلى عدن ومات ا . اهـ «تاريخ الشحر» ص٣٧٥ .

أعماله النثرية

كان الفن النثري في عصر الإمام العدني يمثل صورة راقية في فن التعبير أكثر مما يعبره الشعر، وذاك يعود إلى المدرسة الصوفية التي اعتنى رجالها بالمكاتبات والمراسلات بأسلوب ذوقي يحمل المعاني السامية والعبارات الرصينة الدائرة في قاموس التصوف، وتفيد المعاني التي يذوقها كل منهم عند مكاتبته لشبهه ومثله.

وقد بقيت لنا من نماذج الكتابة النثرية للإمام العدني بعض المكاتبات والوصايا والمقولات، نتناول هنا منها مكاتبة نثرية وشعرية مرسلة إلى الشيخ عبدالرحمن بن علي بتريم، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من الفقير إلى اللّه تعالى المملوك العبد الرق أبي بكر بن عبداللّـه علوي لطف اللّه به (١) :

فقد ورد في الكتاب الكريم المقابل بالتبجيل والتعظيم المشتمل على الدر النظيم، والزهر الفائق البسيم، الذي يحق أن يقال: إنه مـن سليمان وإنه بسم اللّه الرحمن الرحيم الوارد من الشيخ الأوحد، العالـم العلـم المفرد، سيد الشرفا وسبط المصطفى، ورضيع ألبان الصفا والوفا، بحر الحقائق، وكاشف رموز الدقائق، زين الأدبـاء، ولسان العرب العرباء، ذي الأخلاق الرضية، والشمائل المرضـية، والهمة العالية الأبية، والأنفاس العلوية القدسية، وجيه الدين، وبركة المسلـمين، سليل الصالحين، واسطة عقد الشرف الثمين، الشـيخ الأجل الولي الصالح، الساعي في المصالح، عبدالرحمن بن علي ابـن الشيخ أبي بكر رضي اللّه عنهم آمين، ونفعني بهم، فقبلتـه تقبيـلَ مقتطفٍ من رياضه، مغترفٍ من حياضه، متبركٍ بمواضع أقلامـه، معترفٍ بإنعام تودده وشامل إكرامه وإنعامه، ونـزهت طَـرفي في حدائق براعته، وما أودعه من جواهر بلاغته، فشكر اللّـه أنامـلَ

(١) ضمن الرسالة بعد هذه العبارة جملة من الأبيات الشعرية .

سطرت سطوره، ونظمت منثوره، واقتطفت من رياض الأدب زهوره، وأطلعت في سماء البلاغة كواكبه وبدوره.

وما أهديتم من السلام فخصكم الله بأضعافه، وغمركم بمنه وألطافه، وما جاء به من علوم البلاد، وما حدث فيها من الفتن والفساد، فالرجاء في الله أن يزيل الشر وينفي كل محذور، ويطفي نار الفتن، ويمحي منها سائر اليمن، ما ظهر منها وما بطن، والبلاد وإن حصل لها ما ترى فالحوطة بالله ثم ببركة السلف محفوظة، وبعين العناية والرعاية إن شاء الله ملحوظة، وكيف لا وهي موضع مهابط الرحمة والسكينة، وموطن أقدام الأولياء والصالحين.

وقد أحسن سيدنا الإمام السبكي رضي الله عنه :

وفي دارِ الحديث لطيف معنى ... إلى فُرشٍ لها أصبو وآوي
لعلي أنْ أمس بحر وجهي ... مكاناً مسه قَدم النواوي

وعوائد الله لم تزل جميلة، ومواهبه في جميع الأحوال جزيلة [1].

وفي آخر المكاتبة جاء ما مثاله :

(١) للمكاتبة بقية مطولة لم نثبتها هنا، ويمكن للراغب الاطلاع عليها في «المجموعة العيدروسية» ص١٩٨.

وفي النفس من الضيق ـذا الوقت من عدم ا انس كثير، فلـ ـما آنست منك الأنس، وعرفت منك أنك تحب البسط، كان كمـ ـن جر ـراً محبوساً، فلا تعتب على كثرة البسط، فإنه من صفاء المودة، وفي القلب نصائح يحب المملوك أن يبديها لكم لـ ـما غلب الـ ـود وصفا الحب.

اعلـ ـم أن هذا الزمان خصوصاً عندكم الغالب على أهله عـ ـدم الوفاء، وإظهار القبيح والجفاء، وصرتم بين أظهر أعداءٍ للدين جبلوا على محبة إذاعة مثالب أهل المناصب، وقبيلتنا الغالب عليهم عـ ـدم الاحتراز في الأقوال والتلبيس في الأفعال، فلا يجروا على أنفسهم إلا زيادة سوء ظن فوق ما جبلوا عليه.

وأنت بسلامتك قد جعلك اللّه مفرداً، وإفرادك من غير اختيار من زمان أبيك في الحافة والبيت والـ ـمسجد والطبـ ـع، فالصـ ـواب اعتزالك منهم قلباً وقالباً وأبقالك على ما اختار اللّـ ـه لـ ـك فهـ ـو أعلـ ـم بالخيرة، ولا تدخل نفسك في الأمور الصـ ـادرة مـ ـا بـ ـين إخوانك، وقل: الكبار سادة والصغار أولاد، ولا يمكن العصبية مع أحد على أحد، وقل: حالي يضعف عن الخصومات ومخالطة أرباب الدول، وقل: أنا منفصل من زمان الوالد ورغبت في الاعتزال عـ ـن

كله لعالـمي بضعف حالي فلا تكلفوني سوى أني أحبكم الجميع، فهذا هو الأصلح لأ م لا يتبعون ما أمرت ولا تحسن منك العصبية مع أحد دون أحد مع ما في المخالطات من الآفات ما يذهب الدين والجاه والـمروءة، وأكثر ما يتعبنا قول الشامتين الحاسدين: راحوا أهل الخير وبقي من لا ينفع، ولا عاد على رسم الفقـراء سـواك، فباللّه عليك ورسوله لا تدنس قميص سلوكك بسـليط مخالطـة أوباش تريم ورعاعها.. أف لرئاسة تناط م.. فواللّه ما تجشـمت الفرقة وحليت لي الغربة إلا لكراهة تلك المخالطات والـمعاملات من خسران الدين والدنيا.

وبعد فاعلـم سيدي أني إذا ذكرت بعدي عن التـرب المنيفـة والضرائح الشريفة وعدم زيارة المشايخ يحصل التعب الكلـي، وإذا رجعت أذكر ما قاسيت من مرير عشرة العشيرة وعدم احتفـالهم بمراعاة المروءة، وقِل امتثال العاقل، وعدمِ رمق العواقب -وسـيان عندهم عدوهم وصديقهم في إفشاء غوابي أسـرارهم- أحببـت الغربة وذقت لها حلاوة كائناً ما كانت، ولاشيء يتعبـنـي سوى أن أموت في غير تريم، فالدعاء الدعاء الدعاء أن اللّه تبارك وتعـالى سبحانه جل ذكره أن يجعل موتي بتريم.

وبعد فخاتمة كتابي نسأل الدعاء أن يختم للجميع بخير الدنيا والدين والآخرة بحق محمد وآله آمين[١] .

نماذج من مقولات الإمام العيدروس

جمع الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير في مقدمة الديوان «محجة السالك وحجة الناسك» نبذاً من المقولات النافعة التي سمعها في مجالس متعددة من شيخه الإمام أبي بكر العدني ومنها:

نموذج من مقولاته في العقيدة

قال رضي اللّٰه عنه : إن اللّٰه سميع بصير، قادر حي، قيوم مهيمن، أول آخر، ظاهر باطن، أبدي أزلي، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء، ليس له شريك ولا قرين، ولا نظير ولا معين، تقدست عن الأشباح ذاته، وتنـزهت عن الأمثال صفاته، يسمع من غير أصمخة وآذان، ويرى من غير حدقة وأجفان، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ليس هو من شيء ولا في شيء ولا فوق شيء، إنه لو كان من شيء لكان مسبوقاً، ولو كان

(١) «المجموعة العيدروسية» ص٢٠٠.

في شيء لكان محصوراً، ولو كان فوق شيء لكان محمولاً، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم البصير، جل وعلا عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقال رضي اللّه عنه في قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى :

استوى ليس هو استواء وقوع وحلول بل هو استواء ملك وحكم، وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: « لا تفضلوني على أخي يونس بن متى » ؛ لأنه صلى اللّه عليه وآله وسلم رقى إلى العرش والكرسي ويونس هبط إلى أسفل الأرضين وكانا سواء بين يدي اللّه سبحانه وتعالى، وقال تعالى : واسجد واقترب ، فعلم أن لا ثَم جهة لأن القائم أقرب إلى السماء من الساجد، تعالى عن إحاطة العقول والأفهام.

خلق الكائنات بقدرته، وأقامها بمشيئته، لا يتصل ا ولا ينفصل عنها، بل هو كما شاء، كيف شاء، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون[1] .

---

(١) مقدمة الديوان ص٢٣٧ من « ا موعة العيدروسية » .

نموذج من مقولاته في التقوى وحسن الظن

وقال رضي اللّه عنه : عليكم بتقوى اللّه، فإن اللّه تعالى قـال : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، وقال تعالى : واتقـوا اللّـه ويعلـمكم اللّه ..الآية .

وقال رضي اللّه عنه: عليكم بحسن الظن في اللّه عز وجل ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والـمغرب ولكن البر من آمن باللّه واليوم الآخر والـملائكة والكتاب والنبيين .. الآية .

والإيمان هو حسن الظن والتصديق، قال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ، وقال تعالى : فسوف يأتي اللّه بقـوم يحبـهم ويحبونه .

وقال في حديث الإعرابي لـما سأله عن الساعة فقال له: « مـا أعددت لها؟» قال: حب اللّه ورسوله، فقال له صلى اللّه عليه وآله وسلـم: «أنت مع من أحببت» ، وحسن الظن دليل على السعادة ، ويرجى لصاحبه حسن الخاتمة عند الموت[1] .

وقال رضي اللّه عنه : ما خسر صاحب حسن ظن وإن أخطـأ،

---

(١) « ا مـوعة العيدروسية » ص٢٢٨ .

وقال في بعض قصائده :

ربي بك احسـنت ظـني فإنـه خـير ملـزم
وإنـه الكنـز الأكـبر وإنـه الإسـم الأعظـم

وأكثر ما يوصي رضي اللّه عنه في حسن الظن، وقال: هـو أوفى عمل يقرب إلى اللّه تعالى ؛ لأن رسول اللّه صلى اللّه عليـه وآلـه وسلـم قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» .

وقال رضي اللّه عنه: احذروا سوء الظن، فإنه دليل على الشقاوة، ويخشى على صاحبه سوء الخاتمة، والعياذ باللّه، وقال رسول اللّـه صلى اللّه عليه وآله وسلـم: «من عادى لي وليـاً فقـد آذنتـه بالحرب»، وقال تعالى لنبيه في حق المنافقين : استغفر لهـم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللّه لهم ، فانظر إلى المنافقين مع سوء ظنهم لا ينفعهم استغفار النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم وهو أفضل خلق اللّه تعالى.

وقال رضي اللّه عنه : ما أفلح صاحب سوء ظن وإن أصاب .

نموذج من مقولاته في زيارة الأولياء

وقال رضي اللّه عنه : عليكم بزيارة الأولياء والتعرف م ، وإن

صحت النية ، وثبتت العقيدة ، فإن عالـم الغيب والشهادة مرتبطان كالروح والجسد، لا تأتي بركة من عالـم الغيب إلا بواسطة حركة من عالـم الشهادة، وعليه الدليل بقوله جل وعلا لـمريم عليها السلام : وهزي إليك بجذع النخلة .. الآية ، ولـموسى عليه السلام : أن اضرب بعصاك البحر ، فجعل الهز وحركة العصا من عالـم الشهادة سبباً للبركة النازلة من عالـم الغيب[1].

نموذج من مقولاته في الطاعة وخطر المعصية

وقال رضي اللّه عنه : إياكم والاستدلال عليه – أي: على الحق جل وعلا- مع طاعته، وإياكم والتنفر[2] عنه عند معصيته، وإياكم والإياس من رحمته في أي حال كان.

وقال رضي اللّه عنه : لا تستقلوا الطاعة وإن كانت يسيرة فإن فيها رضى اللّه، ولا تستحقروا المعصية وإن كانت صغيرة فإن فيها غضب اللّه وأبغض ما عليه .

---

(١) «المجموعة العيدروسية» ص٤٣٩.

(٢) المقصود هنا بالاستدلال: الدلال المؤدي للاتكال، وبالتنفر اليأس.

وقال رضي اللّه عنه لـمن يمشي بالنميمة ويتعاطى الغيبة: إن اللّه سبحانه وتعالى قال : ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه وقال تعالى : هماز مشاء بنميم . مناع للخـير معتدٍ أثيم . وقال صلى اللّه عليه وسلـم : « المسلـم مـن سلـم المسلـمون من لسانه ويده »، وقال أيضاً: وهـل يكـب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟

وقال رضي اللّه عنه :

كل جـرح علاجـه ممكـن ما خلا يا فتى جـرح اللسـان

وقال رضي اللّه عنه : ما عير أحدكم أخاه ببلية إلا وابتلاه اللّه ا أو بأعظم منها، قال علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه : لو عيرت امرأةً بالحَبل لخشيت أن أحبل.

وقال رضي اللّه عنه: إياكم والكبر والحسـد فإ مـا يحبطـان الحسنات ويمحقان البركات كما تمحق النار الحطب، قـال اللّـه سبحانه وتعالى: إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقال تعالى: إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهـنم داخرين ، وقال تعالى : أم يحسدون الناس على ما أتاهم اللّه من فضله .

وقال رضي اللّه عنه : هما - أي الكبر والحسد - أول ذنب عصي به اللّه عز وجل، وقال: كلما أفاض على عباده نعمة ازداد الحسود غيظاً، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

قل للحسود إذا تنهد: طَعنةً   يا ظالماً وكأنه مظلوم

وقال رضي اللّه عنه: في الكتب الأولى : « الحسود لا يسود أبداً، والخبيث لا يخُرج إلا نكداً » .

نموذج من أدعيته رضي اللّه عنه

اللّهم أَجِرنا من غير ضرر، وأغننا من غير بطَر، اللّهم أجرنا من غير ابتلاء، وأغننا من غير امتلاء.

وكان دعاؤه رضي اللّه عنه في غالب محاضر ذكره : اللّهم ارزقنا من العقول أوفرها، ومن الأذهان أصفاها، ومن الأعمال أزكاها، ومن الأخلاق أطيبها، ومن الأرزاق أجزلها، ومن العافية أكملها، ومن الدنيا خيرها، ومن الآخرة نعيمها، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[1] .

---

(١) « المجموعة العيدروسية » ص٢٤١.

نموذج من مقولاته في **الفرق** بين **الشريعة والحقيقة**

وقال رضي اللّه عنه جواباً لسؤال ورد عليه من بعـض الفقهـاء يسأله عن الفرق بين الشريعة والحقيقة رداً كافياً وجواباً شافياً هذه صورته :

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمـد للّـه وهـو الحامـد لنفسـه والـمحمود، ومنه انبعاث القصد للقاصدين وهو المقصود، خلـق لعبده إرادته بإرادته، وأثبته حتى أقام عليه حجته، وبإثباته له أقـام عليه أمره و يه، وجازاه على مقتضى سعيه، فناداه : وأن لـيس للإنسان إلا ما سعى ، وتارة أقام نفسه ونفـاه فقـال: ومـا تشاؤون إلا أن يشاء اللّه .

فحصلت الحيرة، وعميت الأبصار والبصيرة، فوفق من يشاء مـن عباده بمكنون علـمه، فوقف مع الشريعة بحبه، ومع الحقيقة بقلبه، فالعلـم المتجلي على الجسم علـم ظاهر، وهو علـم الشـريعة، والعلـم المتجلي بالقلب علـم باطن، وهو علـم الحقيقة، فأقـام ظاهر الإسلام على أركان، القائم ا جوارح الأبدان، وأقام حقيقة الإيمان والإحسان على يقين وبيان، القائم ا تصميم الجنان، ولكن لـما خفي عن الأسماع الحسية ما بالقلب جعل لها ترجمانا، وهـو

اللسان، فارتبطت الشريعة بالحقيقة، والحقيقة بالشريعة.

فمن ها هنا قال أهل الشريعة الواقفون مع العلم الخالي عن العمل: ما سوى الشريعة كفر، فصدقوا من وجه وأخطأوا من وجه، وقال المترسمون بألفاظ الحقيقة العارون عن التحلي بها: ما سوى الحقيقة شيء، فصدقوا من وجه وأخطأوا من وجه، فناداهم أهل الجمع من أرباب الدعوة: أما سمعتم شاووش التوفيق، على قارعة الطريق، ينادي: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا؟ فالاجتهاد هو الشريعة، وهو تعاطي أقوال الشريعة بالأعمال ليهديه سبله، وهو الحقيقة، فمن هاهنا لم تعرفوا الحقيقة لعدم استعمالكم الشريعة، ويا أيها المترسمون بألفاظ الحقيقة لم تحصل لكم الهداية إلا بالاجتهاد على أوامر الشريعة، واجتناب مناهيها[1].

ومن أهم أعماله النثرية رحمه الله ونفع به رسالته المسماة «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» كتبها لأحد تلامذته ومريديه، وهو الشيخ الصالح الفقيه عفيف الدين عبدالعليم الحوايجي، وصدرها بعد

---

(١) المقالة بقية في ص٢١٨ من «المجموعة العيدروسية».

براعة الاستهلال بقوله:

أما بعد فقد سألني الولد العزيز الناصح، الفقيه الولي الصالح، عفيف الدين الشيخ عبدالعليم الحوايجي أن أنصبه شيخاً وألبسه الخرقة، وآذن له في إلباسها لمن شاء، وسألني عن كيفية التحكيم المتعارف بين المشايخ رضي اللّه عنهم، فأجبته إلى ذلك واستخرت اللّه تعالى في جمع جزء لطيف أُبين فيه إلباس الخرقة الشريفة، وأوضح ما ورد فيها وعليها، وباللّه التوفيق.اهـ.

وقد أورد الإمام العدني في هذه الرسالة كافة أسانيد لبس الخرقة عند أهل التصوف وطرقها التي وصلت إليه، واستدلالات أهل الطريق فيها، وما جرى من الخلاف بين أهل العلم في شأنها، وقال بعضهم: إنها بدعة، ثم استطرد المؤلف لتفصيل معنى البدعة وأقسامها، ومن ذلك انتقل إلى ذكر أصناف لبس الخرقة وآداب لبسها، وأشار إلى صفة أخذ العهد وهي :

١- أن يذكر الشيخ للمريد آداب التوبة، ونسبتها، ثم يضع باطن يده اليمنى فوق بطن يد التائب اليمنى، ويعرفه بأن الشيخ والمريد مشتركان في التوبة.

٢- يرفع الشيخ صوته ويقول: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم،

بسم اللّه الرحمن الرحيم، أستغفر اللّه العظيم (ثلاثاً) وأسأله التوبة والمغفرة والتوفيق لما يحبه ويرضى، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد للّه رب العالمين.

ويتبعه المريد في قوله.. إلخ.

واستطرد المؤلف إلى صيغ أخرى مستحسنة في أخذ العهد، وأشار إلى شيوخه الذين ألبسوه الخرقة، والرسالة قيمة في موضوعها وفنها، وهو السند العلمي والروحي الذي تتوثق به طرق الأخذ والتلقي عند أهل ذلك العصر، ومنها يستشف الباحث مدى الاهتمام التربوي وتوثيق أسانيده وصلاته في حياة السلف الصالح.

أشعار الإمام العدني ذات الأغراض المتنوعة

يزخر ديوان الإمام العدني بالعديد من القصائد ذات الأغراض الشعرية عند الصوفية، وكما هو معلوم أن للشعراء الصوفيين وجدان راق وأسلوب رصين وكلمات ذات مدلول ليست كلها على ظاهرها، خصوصاً في التعريض بالمسميات الحسية كالسكر، والخمر، والكؤوس، وسهام العين، وهند، ولبنى، وليلى، وغيرها، فالخمرة عندهم والسكر: نشوة الذكر والفكر، والكؤوس:

إشارة للسبب والواسطة المؤدي إلى النشوة، والرموز الأنثوية: عبارة عن غرض مقتضى الحال الذي يعتري الشاعر عند تعبيره، وكلاهما تدور في مستوى الجمالية الوجدانية، واستفراغ كافة المعاني الحسية في مستوى اللذة الظاهرة لتعبر عن وجدان راق، غالب على الجوارح، فأنطق اللسان بنشوة الوجدان على المستوى الذوقي الإنساني .

وليست كل القصائد الصوفية من هذا النمط الغزلي، وإنما توجد بينها أغراض أخرى كالوعظ، ومحاسبة النفس، والتزهيد في الدنيا وحطامها، وعلى العموم فالنص الأدبي الصوفي مدرسة متفردة عن غيرها، ولا يحسن من منعدمي ذلك الذوق أن يرضخوا قصائد التصوف إلى محسوسات الذهن الشهواني الرخيص، وإذا كان في الصوفية من صار هدفاً للمز والغمز والتنقيص من خلال النصوص فإن التعميم بهذا الحكم على كل الصوفية مجانب للحق، وانشغال بمادة فكرية منقرضة بانقراض رجال ذوقها لا حاجة للانشغال بها وتحجيم أمرها .

والواقع الفكري والعاطفي المعاش اليوم هو أدعى للاهتمام بأثر الوجدان الرخيص المدمر للسلوك والحياة والشرف، وأقول هذا ليس

ترويجاً للغزل الصوفي، ومدحاً لقاموسه الخمري المعنـوي، وإنمـا تأكيداً على ضرورة إعطاء كل مدرسة حجمها ومقامهـا الـذي تنطلق منه وجدانيا ا، لا من حيث محاكمة الكلـمات والعبارات وعزلها عن حقائق حال قائلها وزمانه ومدرسته.

وهذا الحكم يجر نفسه على كل تراث التصوف، ولـيس علـى الجانب الأدبي فقط، فالناقدون الإسـلاميون اليـوم -وأكثـرهم المتخرجون من مدرسة الشك الديكارتية والبافلوفية وأشبا ها مـن مدارس النقد ومدارس علـم النفس الحديثة، ولا مخرج لهـم مـن أثرها وتأثيرها- هؤلاء قد حملوا على عواتقهم -كما يقولون- هم تنقية التاريخ والأدب والعلوم الإسلامية من الشوائب العالقة ا من آثار التصوف والوضع والنحل والغنوص وما شاكل ذلك بمقاييس أجنبية وغريبة عن الإسلام ذاته، ولهذا آل ـم هـذا الانـدفاع والحماس إلى وصم الأوائل بما ليس فيهم، ويظنـون أن مقـاييس نقدهم إسلامية خالصة، وأنى لهم ذلك، والـ ـمرء منتسـب إلى مدرسته التي بنت تركيب فكره ووجدانه ومواقفـه وتوجهاتـه، وغالب مدارس المسلـمين من ألفها إلى يائها اليوم منطويةٌ نفسيات تلامذِتها وثقافا م على آثار نشاط المدرسة الاستعمارية الحديثـة

-من أول هياكل المدرسة الابتدائية إلى مرحلة الشهادات العليا- بما لا يجرد أقلامهم ولا ألفاظهم عن آثـار التراكمـات التعليميـة المشبوهة .

والخير كل الخير في إعذار المسلـمين، والإشفاق م من كيـد الأعداء المتربصين الذين يوغرون صدر المسلـم علـى المسلـ ـم، ويبدعون غاية الإبداع في إيجاد الفرقة والخلاف، مع أن في الأمـر سعة، وفي الإنصاف عند الدراسة ميزان عدل لا يحيـف إذا كـان الوزان عدلاً في ذاته، سمحاً في معاملاته، مخلصاً في أعماله ونياته .

وقد استخلصنا هنا بعض النماذج الشعرية للأغراض التي يطرقها شاعرنا العدني، والأسلوب الذوقي الذي ينتهجه، ونود أن نلفـت القارئ إلى أننا توخينا الاختصار في هذه النماذج تجنبا للإطالة عليه بما يتناسب مع الوحدة الموضوعية للقصائد .

وغالب أشعار ديوان الإمام العدني من الغزليات ذات العبـارات الشعبية المنشدة بأصوات غنائية، وبأسلوب غير متكلف، وقد يخرج بعضها عن قواعد العروض المألوفة، وميز ا الأدبية تنوع مطالعهـا الإيقاعية على أصوات الإنشاد السائد آنذاك عند صوفية الـيمن، وقاموسها اللغوي ممزوج بين اللّهجة الشعبية والألفـاظ العربيـة

الفصيحة البارزة في قالب أدبي مقبول ؛ وكثيراً ما يميل إلى استخدام الألفاظ الشعبية المتداولة في بعض مناطق اليمن وخاصة في التـهائم مثل :

شاعشـــق لي معــــز غــــالي   وارتقـــي لي مرتقـــي عـــالي
شا فـاخر لي بفخـر محبـوبي   وأعطاني في الحب مطلـوبي [(١)]

ومثل :

إذا شا اترك الهم وواصل سروري   ولي رب يعلـم بخافي أمـوري
وشا ادخل وشا اجزم بقلب جسور   أرى اللوم عندي خطأ غير صائب
أناشا استجير بالجمال المكمـل   ومن في النبيين أكمل وأفضـل

مع أن الملاحظ في تركيب بعض القصائد ضعف البناء الشـعري، وكثير من السلف عند كتابة الشعر لا يتكلفون الصور والـمعاني، وخاصة أن غرضهم هو الدعوة إلى الله بـين العامـة، وغالـب قصائدهم تؤلف للإنشاد والسماع، فلذلك يتوخون فيها البساطة، واللغة المتداولة، وقد أشكل هذا الأمـر علـى بعـض البـاحثين المعاصرين، وظن أن في الأمر شيئاً، حيث يختلف الشعر عن النثـر،

(١) الديوان، «المجموعة العيدروسية» ص٣٧٦.

فالنثر يمتاز لدى عدد من علـماء وشيوخ تلك المراحل بالـمتانة وقوة العرض واللغة مع السجع والبيان البديعي الواضح مما يشير إلى غزارة في اللغة وعمق التصور البياني، ولكن هذه الصـور والقـوة اللغوية تنعدم في بعض الأحيان، أو تضعف في الشـعر، والإجابـة العادلة عن هذه الظاهرة أن السلف كانوا -برغم قو م البلاغيـة الوضحة في نثرهم وخطبهم- لا يميلون إلى الشعر المتكلـف، ولا يحثون عليه، بل ربما انتقدوا اهتمـام الشـاعر بالبيـان والبـديع وخصوصاً في مجال الشعر الصوفي القائم على الأغراض التعليميـة والدعوية، لأ م يحبون مخاطبة العوام بما يلائم فهمهم، ويؤيد هـذا المنحى ما ذكره شيخنا العلامة الحبيـب أبـوبكر العطـاس ابـن عبداللّه بن علوي الحبشي قال : بلغنا عن الحبيـب الجـامع بـين علـمي الباطن والظاهر عبد اللّه بن حسين بن طاهر أنه لـما سمع قول الشاعر :

علي نحت القوافي من معاد ـا   وما علي إذا لـم تفهم البقـر

قال رضي اللّه عنه :

تركت نحت القوافي من معاد ا   لأنّ لي مقصداً أن تفهم البقـر

ومدرسة السلف بحضرموت مدرسة متفردة في منـهجيها الأدبي

والفكري، ومخالفة بذلك كثير من المدارس الأدبية والفكرية ؛ لأن غالب شيوخ المراحل اشتغلوا بالدعوة إلى اللّه، ومخاطبة العوام، فقل أن يأتي نشاطهم الأدبي محبوكاً ومنسقاً، وربما كان هذا حظ القليل منهم فقط، حيث لا يخلو زمن ولا عصر من أدباء وشعراء يـتلاءم ذوقهم وتركيبهم البلاغي في أعمالهم الأدبية مع المدارس الشـعرية الراقية.

ولقد استفدت هذا الموقف من خلال دراستي لحياة جمـاعـة مـن علـماء وشيوخ حضرموت عبر ترجمة الجد علوي المطبوعة المسماة «لوامع النور»[1]، فقد حكى الجد علوي قصة عودته إلى حضرموت متزوداً بالعلـم والأدب من مصر، فوجد مدرسة حضرموت على عكس ما جاء به.. فصور حاله بقوله: فوصلت إلى وطني ومسقطِ رأسي، فألفيت البلاغةَ ا لا تعرف، ويهزأ بمن ا يوصف، وفتشت خريطةَ دماغي، فإذا جلّ ما ا لاغي، ووجدت لسانَ الفصـاحةِ علي باغي، معلناً بقوله : بلدك أرض يفر ا الخِريت وسرد المثالة، فقلت في نفسي بستر الحالة، وتذكرت قول من قال :

---

(١) « لوامع النور » للمؤلف ص١٠١ .

أرض الحراثةِ لــو أتاهــا جــرولٌ   نجــلُ الحطيئــةِ لانــثنى حراثــا
تصدى ا الأذهان بعــد صــقالها   وتــرد ذكــران العقــول إناثــا

فبينما أنا أقلب كفي، وأضرب بيدي على كتفي، إذ هتــف داع صرف وجهة القلب ونقلني إلى حالة الجذب قائلاً: رويدك اخلــع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ..

هذا شراب القومِ ســادتنا وقــد   أخطا الطريقةَ من يقلْ بخــلافِ

فأفقت فإذا الطريق دلالة وإدلال ومقامات وأحوال وقبول وإقبال، فعرفت أن من الجنون فنون، وأن الحق مع من جال في كــل ســر مصون، فترسمت برسوم سلفي، وتركت كل قاطع فيــه تلفــي، وأقبلت على الدعوة إلى اللّه تعالى، وإرشاد الضال مــن الجهــال، وترغيبه في العمل والأعمال، وسعة رحمة الكبير المتعــال، فتــارة أستدرجه بقصيدة من بحر الحميني المشهور، وتارة بالتوسل والإنشاد بالأشعار الموزونة والسجع المأثور.

نموذج من شعره في الشوق

قال الإمام العدني في شوقه لأهله وأسلافه الصالحين :

عرض بذِكري إن مررت بلَعلَـعِ   واقْرِي السلام أُهيلَ تلك الأربـعِ
واشفع وقُـل بتـذَلُّلٍ وتخشـعِ   يا ساكني وادي النقا والأجـرعِ
فيكم ضنى جسمي وسالت أدمعي

وبكم لَبِست مِن النوى حلَلَ الضنا   وهجرت فيكم من نأى أو من دنا
وجعلت حبكُم لنفسـي ديـدنا   إن كان مسكَنكُم بوادي المنحنى
حِساً فمثواكم معي في أضـلُعي

يا من أُعِـدهم أعـز دخـائري   شغفي بحبكُم سرى في سـائري
وبدا وفاض على جميع مظـاهري   في خاطري وضمائري وسرائري
في منظري في منطقي في مسمعي[1]

وفي الشوق واللوعة للوطن والأهل يقول :

مسـ ـافرين أبلغـ ـوا عنـ ـا   من في تريم الف والفـي سـلام
مـن قامتـه تشـبه الغصـنا   ومـن جبينـه كبـدر التمـام
مـتمم الحسـن والـ ـمعنى   سويجي الطرف قميري الحمـام
والجسـم مـن فرقتـه مضـنى   ونـاظري مـا ذـا منـام

(١) الديوان، ((ا موعة العيدروسية)) ص٢٦٧ .

قولوا لـمن قـد بـرا حـالي　　لا يحسـب انـا نسـينا لقـاه
أفديــه بالحــال والــمال　　ولـيس مقصـودي الا رضـاه
واللّـه أقسـم ولا أبـالي　　ما حـب في الخلائـق سـواه

ويقول في أخرى :

يا سفْح عِيديد يا مأوى الدمى الكُنسِ　　الساجياتِ العيون الفُتِرِ الـنعسِ
الحالياتِ اللـما الشنب اللُعـسِ　　يا سفح عِيديد يا وجدِي لِغزلانك
يا سفْح عِيديد يا مأوى الِملاح الحُور　　الفاتناتِ الورى ألباهياتِ النـور
هل ترحمون البعيد القاصي المهجور　　سقيا ورعيا لروضاتك ورضوانك(١)

ويقول في شوقه إلى عدن:

هــزني الشــوق إلى عــدن　　شـد يـا حـادي الركـاب
شـــوقنا ازداد والوســـن　　عن جفـوني نـزح وغـاب
خـاطري قـط مـا سـكن　　مـذ جـاء منـهم كتـاب
هـــل درى وردي الـــوجن　　مـا بقلـبي مـن اضـطراب

---

(١) «المجموعة العيدروسية» ص٣٨٣ .

لونــه يمســك حــين فــاح ... مــا يماثلــه قــد طيــب
أو كمــا البــارد القــراح ... أو كمــا المنــدل الرطيــب
لا غـــنى لي ولا ســـراح ... عنــك واللّــه يــا حبيــب
وجهــك البــاهي الحســن ... شمس مــا دو ــا ســحاب[1]

نموذج من شعره في الوعظ والحكمة

نصــبت لأهــل المناجــاة ... في حنــدس الليــل أعــلام
واســتعذبوا الســهد وامســوا ... قيامــاً اذ نــام مــن نــام
واســـتقبلهم لطـــائف ... جـــات فضـــل وإكـــرام
مـــن لـــذة لا تكيـــف ... ولا تصـــور في الاوهـــام
قــد ذاقهــا مــن عناهــا ... وهــام فيهــا الــذي هــام
واســتوحش الخلــق وامســا ... في الفيـــافي والاكـــام
ولـــم يعـــرج علـــى شـــي ... ســـواه لـــو لام مـــن لام
طـــابوا وفـــاز المخفـــون ... ونحـــن أربـــاب الاثـــام
نبـــنـــي و ـــدم بنانـــا ... ومنتـــهى أمرنـــا الهـــدام

---

(١) الديوان، «ا موعة العيدروسية» ص٣٨٧ .

بالسوف والسـوف تسـويف تمضـــي الليـــالي والايـــام
أيامنـــا قـــد تقضـــت علـــى التمـــاني والاوهـــام
وكـــــل آت قريـــــب والعافيـــة بعـــدها اســـقام
والعمـــر فـــانٍ وإن طـــال لابـــد مـــن كـــرة الســـام
والغيـــد تمســـي أرامـــل منـــا وأطفالنـــا ايتـــام
ونـــذكر ايـــام كنـــا كأ ـــا اضـــغاث أحـــلام
ننـــدم علـــى مـــا فعلنـــا ولا يفيـــــد التنـــــدام
يـــا ذا الكســـل كـــم تـــؤخر توبتـــك مـــن عـــام الى عـــام
وليســـت تـــدري بعـــام يأتيـــك مـــن نـــاقص او تـــام
أو هـــل تحققـــت دنيـــا دامـــت لحـــد أو لهـــا دام
ولـــيس تعلـــم لخصـــمك أمـــراً إذا جـــا للالـــزام
يا كاشـف الضـر يـا مـن قضـــى بقـــدره وأحكـــام
احفـــظ علينـــا جميعـــاً عند انقضـا العمـر الاسـلام
قد جـدت فضـلاً بالاسـلام وأفضـــل الجـــود الاتمـــام
حاشـــاك بعـــد التفضـــل تـــذيقنا هـــول الاضـــرام
فـــنحن أهـــل للاســـوا وأنـــت أهـــل للانعـــام

تمــت وصــلوا علــى احمــد مكــرراً طــول الاعــوام

ويقول أيضاً :

كل مــن لــيس يمنــع نفســه عن حضيض الهوى ذاق الهــوان
مــن تــدنى دنــت بــه همتــه لــو يكــن عاليــاً بالزبرقــان
واصحب اللطف في كل الأمور ما لطف كــل شــي إلا وزان
كــل جــرح علاجــه ممكــن ما خلا يا فتى جــرح اللســان
إنمــا يوقــع المــرء الغــبي في جميــع المصــائب خصــلتان
الطمــع والتعــدي للــذي ليس يعنيه فاحــذر يــا فــلان
والزم الصــبر في كــل الأمــور صاحب الصبر في العقبى معــان
لا تعــادي زمانــك يغلبــك كن مســاير يســايرك الزمــان
لا تعرج علــى وطــن وكــن أينما كان عــزك هــو مكــان
فــالغنى الغــنى كــل الغــنى التقى ما سوى التقــوى فمــان
بالتقى يجتمــع لــك يــا فــتى في حياتك وفي الأخرى الأمــان
لا يقنطــك ذنبــك والتــزم حسن ظنــك بربــك كــل آن
لا تمــنى علــى اللّــه المحــال مطلبك منه للعصمة جنــان (١)

---

(١) الأصل في اللغة : جنون، وقد أثبتها بلهجة العامة.

أنت ما كنت حيـاً في جهـاد كن قوي اليقين ثبـت الجنـان

وإذا مـا يقينـك صـح بـه فهو يحفظك ما قد شاه كان [1]

وإذا كنت مـن أهـل الـيقين صح قدم التصوف لك وبان [2]

يتضح سـر أسـرار الغيـوب في القلوب والخبر عندك عيـان

والكـلام بعـد ذا لا ينبغـي قد حسن ها هنا قـبض العنـان

والصلاة والسلام علـى الـنبي الأتمـ ـ ـان ثم الاكمـ ـ ـلان

نموذج من شعره في محاسبة النفس

وللإمام العدني محاسبة للنفس وإثارة إلى طبيعتها الروحية، يقول في ذلك:

يا عين إن نام الخلي ففي الدجى لا تهجعي لا تهجعي لا تهجعـي

جن الظلام ففي جنانك فـارتعي وتمتعـ ـي وتمتعـ ـي وتمتعـ ـي

يا أُذن إن طال العـذول عتابـه لا تسمعي لا تسمعي لا تسمعي

لا يستميلك عن هـواك مفنـد منه ارعوي منه ارعوي منه ارعوي

---

(١) لضرورة الشعر لفظت: شاه، وهي كذلك باللّهجة العامية، والأصل: شاءه.

(٢) في البيت زحف.

يا مهجتي شقي الصفوف وبادري   لا ترجعي لا ترجعي لا ترجعـي
وإذا أتاك الموت مـن دون المنـا   لا تجزعي لا تجزعي لا تجزعـي
لا تطمعي من دو ـم بسـلامة   لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعـي
غير الرياض المونقات فـإتركي   لا ترتعي لا ترتعـي لا ترتعـي
لا تدعي ريب الهـوى بجهالـة   لا تدعي لا تـدعي لا تـدعي
إن كنت صادقة فلا تخشِي الفنـا   فله اكرعي فله أكرعي فله أكرعي
وتجرعي غصص المهالك واصبري   وتجرعـي وتجرعـي وتجرعـي
إن صاح ناقوس الهوى آن اللقـا   كوني اسرعي كوني اسرعي كوني اسرعي

نموذج من شعر المراسلات والـمساجلات

يزخر ديوان الإمام العدني برسائل شعرية ومسـاجلات نظميـة، وهي كسابقتها من حيث التركيب الشعري، والبناء الفني، إلا أ ا تفصح لنا عن هذا اللون السائد في حياة الشيوخ والعلـماء كغرض من الأغراض المهمة، ومن هذا النمط ما قاله جواباً لقصيدة وصلت إليه من القاضي الأجل شهاب الدين أحمد بن عمر المزجـد سـنة ٩١٠هـ.

أجادت سليمى بالوصال وبالبشر وبالود منها ليس بالصد والهجـر
ولـم تصغ للواشين سمعاً وإ ا لتعلـم ما يجني الوشاة من الوزر
تراها على العهد القديم مع الوفا ولـم تلتفت من قول عمرٍو ولا بكرِ
وشيمتها لـم تستحل عن ودادها وليست تقابل صفوها قط بالـمكر
يظن ا نقـض العهـود وإ ـا على كل حال لا تشوبه بالغـدر
ففي قر ا عـز ومجـد ورفعـةٌ إلى الغاية القصوى إلى العالـم الحَبر
شهاب العلا غوث الملا هو أحمد وقاضي قضاة الوقت في مدة العصر
فيوم له في العلم والفضل والحجى يزيد على أعمار سبع مـن النسـر
وفي العلـم يم لـم يزل متلاطماً يقل عليه مد سبع مـن النـهر
فيا أيها القاضي الذي وصف فضله يجل عن الإحصاء والعد والحصر
كتابك أحلى في الفؤاد من المـنى وأطيب من مر النسيم إذا يسري
وإني بصدق الود منك وبالوفـا عليم وكُل قد أحاط به خـبري
وخاطرك المحروس يشـهد أنـني على الصدق والود الأكيد مدى عمري

وكتب إليه جواباً آخر سنة ٩١٣ من الهجرة قال فيه :

سلام كروضٍ عمه وبلُ سـاجمه ففتح من نور الكمـام مباسـه
سلام يفوق المسك في نشر عطره ويزري بذوق الشهد في فم طاعمه

على السيد الحبر الحليم شـهابنا   نواوي العلا مفتي الزمان وحاكمه
له في سلوك الدين أوضح منـهج   له في فنون العلـم أوفى مقاسـه
لكل زمانٍ عالـم يهتـدى بـه   وهذا زمانٌ أنت لا شك عالـمه[1]

نموذج من شعر الغزل

الغزل أسلوب صوفي بديع، وغالب الصوفية يميلون إلى التعبير بـه في مناسبات عدة، ولكل مدرسة أسلوب ومنهج، وكثيراً ما يعيب المتأخرون أسلوب الغزل عند الصـوفية، وينسـبونهم إلى المجـون والخلاعة لـما يرد من صريح العبـارات للـمرأة، والكـاس، والخمرة، والدلال، والغنج، والشوق، والعشق، وبالطبع لو نظر المرء إلى ظاهر الألفاظ محكماً فهم الزمان المعاصر وأسلوبه لـما رأى في هذه النماذج الشعرية إلا الخلاعة ووصف النسـاء والفـراش ؛ ولكن بالبديهة يستطيع الباحث المتأمل في أشعار القوم ومراسلاتهم

---

(١) للقصيدة بقية في الديوان، «المجموعة العيدروسية» ص٣٠٢، وكان إنشاء هـذه القصيدة على قصيدة كتبها الشيخ المزجد وأرسلها للإمام العدني جاء فيها :

سلام كروضٍ باكرته غمائمـه   وفتح عن زهر الأقاحي كمائمه

وأحوالهم وأخلاقهم، أن يرى «فناً خصوصياً» لا يرضخ للمقاييس الحكمية المجردة، وإنما يعبر عن شعور راقٍ في الذات الصوفية، جعلت من تلك اللذائذ الحسية مجرد رمز لا علاقة لها بمعانيه السفلية الأغلالية، وإنما يستشف منه التحليق إلى معانٍ تعتلج في ذاتٍ ذوقيةٍ الفهم.. شفافة الأسلوب.. عالية المقصد.

وكأني بالمعاصرين لا يقبلون في هذا المنحى حجة ولا يرتضون تعليلاً، ولسنا بحاجة إلى فرض قناعات الشعر الصوفي عليهم لتصير منهج الحياة، لأن كل إناء بما فيه ينضح، وإنما نضع هنا نماذج من شعر الإمام العدني مشفوعاً بمناسبته التي تجلي لنا صورة القبول لدى أولئك وهم يتبادلون الرسائل على أرفع مستوى اجتماعي بواسطة الغزل، واصطلاحهم الوجداني على المدلول من الألفاظ، وكفى بهذا حجة للمنصف أن يفهم تفرد هؤلاء في فهم المعاني، حيث لا قياس بين فهمنا الحسي المجرد الذي يرغي بنقده المتأخرون وفهم الصدور الأوائل، فعلى سبيل المثال نرى الإمام العدني يمدح السلطان الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب[1] بذات الأسلوب الغزلي فيقول :

---

(١) السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر، ينتسب إلى بني طاهر الذين كانت لهم دولة في اليمن، وقد ألف الحافظ الديبع الشيباني كتاباً سماه «العقد

الباهر في تاريخ دولة بني طاهر»، وقد وقف عليه السلطان المذكور، وفرح به، وأعطى الديبع جائزة ميمونة، وأكرمه، ورفع رتبته العلمية، وصدره في جامع زبيد.

كان السلطان عامر على جانب عظيم من الدين والتقوى والمشي على طاعة اللّه، ملازماً للطهارة والتلاوة والأذكار ؛ كثير الصدقات والمبرات، له مآثر عديدة منها: عمارة جامع مدينة زبيد، وعمارة مدرسة جنوب المسجد بمدينة زبيد، وعمارة مدرسة الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، وعمارة مدرستين بمدينة تعز، وإجراء العين المائية ا، وبناء الجامع الكبير بالمقرافة، وبناء مدرسة القبة ا، وبناء مدرسة عظيمة برداع، وبناء مسجد بداخل مدينة عدن، وإجراء المياه بظاهر البر منها، وبناء صهريج عظيم بقرية عسيب، وإقامة ما لا يحصى من المساجد والصهاريج والآبار والسدود.

كانت مدة حكمه إلى انقضاء دولته تسعاً وعشرين سنة إلا أياماً أقام فيها صرح العدل ودولة الرخاء، ونال من شعبه ورعاياه جليل الود ووافر الولاء.

كانت بينه وبين آل العيدروس مودة ومحبة أكيدة، فالإمام العدني كان مشرفاً ومعظماً في بلاطه، ومكرماً في سلطانه، وجرت بينهما مساجلات، وأشعار، ومراسلات كثيرة حفظ لنا منها ديوان « محجة السالك وحجة الناسك » نبذةً صالحةً.

كما كانت بينه وبين الشيخ حسين بن عبد اللّه العيدروس مكاتبات ومساجلات شعريةٌ أشار إليها في «النور السافر» ص١٤٩.

ومدحه الشيخ محمد بن أحمد بحرق بقصائد، منها أبيات عجيبة ذكرها «النور السافر» ص١٤٨.

وكانت وفاة السلطان عامر بن عبدالوهاب يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة ٩٢٣ هـ شهيدا، ورثاه عدد من الشعراء منهم الشيخ العلامـة الديبع، ومما قاله:

أخِلاّي ضاع الدين من بعدِ عامرٍ وبعد أخيه عادتِ الناس في الناسِ
فمذ فُقدا واللّـه إننـا من الأمنِ والسلوان في غاية البـاسِ

وله فيه أيضا:

تحطم من ركنِ الصلاحِ مشيده وقُوض مِن بنيانه كل عامِرِ
فما مِن صلاحٍ فيه بعد صلاحِه ولا عامرٍ والله من بعـدِ عـامرِ

وكان أول رجال دولة بـنـي طاهر علي بن طاهر، وآخرهم عمـر بـن داود، ذكر ذلك « النور السافر » ص ٢٣٨ .

وكانت لسيدنا أبي بكر العدني مواقف عظيمة إلى جانب السلطان عامر ذكر منها «العقد النبوي» طرفا صالحا منها: أنه لـما مات والده الشيخ عبدالوهاب بن داود رمته الناس عن قوس واحد، وتنكروا له، وأجمعوا على خلافه جميـع أهـل اليمن، حتى أناس من دويراته، وقام معه سيدي أبوبكر مقاما حسنا، وكـان في جملة من خالف خاله عبدالله بن عامر، وخالفت الناس معه، فسعى بينهم الشيخ أبوبكر بالصلح، فأجابوا بذلك، وأخذ منهم المواثيق والعهود، فنكث عبدالله بن عامر، فأنشأ الشيخ قصيدة يعشو ا عبدالله بن عامر، أولها قوله:

قولوا لـ ـمن نقـض العهـود يكون غدرك عليـك لا لـك
لابـ ـد ـزمـ ـك الجنـ ـود ولا بقـي يـا ذاك أملـك
فسـوف توثقـك القيـود وينقضي مـن بعـد أجلـك

شوقي إلى زينب شـديد شـائق والقلب إليها لا يـزال خـافق
وأدمعي مـن مقلـتي دوافـق شوقاً ونومي للجفـون مفـارق
خدود زينـب زينـت بتوريـد وجيد زينب جيد ظبيـة البيـد
نفسي فدا زينب وذلـك الجيـد لقد حوت زينب لحسـن فـائق
زينب منى قلبي وكـل قصـدي زينب لها أرفـع محـل عنـدي
ما حال زينب يا نسـيم بعـدي أما أنا مشـتاق صـب وامـق
فـإن زينــب قــرة النــواظر وإن زينــب منيــة الخــواطر
لولا صلاح المكرمـات عـامر لا طير إليهـا واقطـع العلائـق

وزينب هنا رمز، لا حقيقة، ومن هذا الرمز وعليه يجتمـع فهـم الكاتِب والـمكاتب، وكلاهما يعلـم من صاحبه قـدر العبـارة ومصدرها، ومن هو صاحبها، وما مقدار علـمه، وخلقه، وأدبه.

والذي يؤكد لنا سلامة الذوق لدى هؤلاء الرجال أمام صـريح

فكان أمره كما ذكر الشيخ نفعنا اللّه بـه. ص١٣٢-١٣٣ مـن «العقـد النبوي».

وذكر الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر » ص١٢٤ أن نسب الشيخ السلطان عامر هو عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين العمري القرشي الأموي نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي اللّه عنه.

الغزل والتشبيب أن القصيدة موجهة لحاكم عسكري ربما لا يقبـــل أن يتحدث معه كأنثى لو أخذت الأبيات مجردة عن مقصد الشاعر وذوق الممدوح. وربما أيضا تعد إهانة لرجل يعتز برجولته، مما قـــد يؤدي في فهم قاموسنا المعاصر إلى القتل أو التنكيل.

ولكن كما سبق التحدث عن هذه المرحلة وما سبقها أ ا ولاشك مرحلة متفردة كان علية القوم وعلـــماؤهم وقاد م فيها يـــألفون التغزل ويتفننون فيه، حيث لا مكان بينهم لفاسق أو ســـيء النيـــة والظن لا عملا ولا قولا ولا نية ولهذا تصـــدرت هـــذه الأشـــعار دواوين الفحول من الرجال وخوطب ا الأبطال[1].

إن اصطلاح القوم على الأسلوب الغزلي فن خاص م، وقـــد لا يحلو من غيرهم أبداً، ولهذا يعد فنا ذوقياً قد مات بموت أصـــحابه، ولا مجال للاقتداء إلا بذات الشروط الوجدانية، تعال معـــي انظـــر للإمام العدني وهو يمدح والده الإمام العيدروس ـــذا الأســـلوب فيقول :

رق الســـقيم   يا رديني القـــد   يا داجي التميم   دمعـــه رديم

---

(١) والـــملاحظ أن الغزل المنتشر في كثير من القصائد ليس مـــن الغـــزل الخـــاص بالـــمطالع وإنما يسيطر على غالب الأبيات ويكون موضوع القصيدة.

فوق وجنة الخد من شادن تريم كم ذا أهـيم مستهام معمد

يا زاهي الـبريم شغبه عظـيم بالفراق والصد يعلـم به العليم

ليت يا خـرود تسمح الليـالي وأفراحنا تعود تطلع السـعود

في سما الوصال تشفي به الكبود تنجلي الصدود والقليب سالي

بـك واظـبي أطلب الرحيم العظيم الاوحد إن يغني العديم

ساجي الكحيل حاني الموشـم ما شابكم بديل ليس لك مثيل

بالطريق الاحوم والـ ـ ـمنظر ارحم العليـل الكئيب ذا الهم

الواله النحيـل كن به رحـيم يا حبيب تحمد لا زلت في نعيم

عافني الكـرى والقليـ ـ ـب والجوف فيـه جدد السـرى

حادي الركائب يشـفي بـك عنـدما تـرى أفخر القبـاب

قبر الولي الفرد شيخنا الحلـيم الإمام الاوحد عبدالله الكريم

والأشعار الصوفية في غالبها تتطرق لهذا الأسلوب، وتعبر عـن وجدا ا به، إلا أن الفهم في هذا الوصف الغزلي يجب أن لا يخـرج عن موقعه الأدبي؛ فالرموز الحسية يمكن تأويلها عند ورودهـا في العبارة الشعرية بما يلائم العقل، والنقل، والذوق ؛ ولا مجال هنـا

لوصف الذات الإلهية بشيء من هذا، حيث لا يجوز إطلاق الرموز الحسية ذات الصبغة الغزلية على مثل هذا المقام العالي؛ وإنما تؤول العبارة الشعرية لتعطي مدلولاً معنوياً في الذات البشرية نفسها، وهي تتمثل في المعاني العلوية.

وإلى ذلك أشار الإمام الحداد في كلامه الذي نقله عنه الأحسائي فقال: ولا يجوز تنزيل الغزل على الحضرة الإلهية، ولا ما فيه الخلف على النبوة. بل ما فيه الوفاء والمدح على الروح، وما كان فيه الخلف والجفا والمطل على النفس؛ لأن هذا طبعها[1].

وقد يأتي الغزل صريحاً واضحاً فلا يحتاج إلى تأويل كما هو في قول الإمام العدني :

يا ساكنين وادي النقا ... ما بين عيديد ودمون

أدعو لكم طول البقا ... أن لا يريكم ربنا هون

قلبي لكم متشوق ... وفي رباكم صار مرهون

متى يكون الملتقى ... لعل يسلو كل محزون

رعيا لأيام مضت ... ما بين حوطتها وسرجيس

(١) « تثبيت الفؤاد من كلام الإمام الحداد » للأحسائي (١: ٣٩٧) .

فكـــم ـــا غيـــد زهـــت	كادت تفاخر حســن بلقـيس
ما البدر ما الشـمس إن بـدت	ما ريم رامـه مـا الطـاويس
العاليــ ــ ــات المرتقــ ــ ــى	فكم ا مـن صـب مفتـون
يــا أهــل بيــت المصــطفى	يا اهل الهدايـة والـ ـمعارف
كــم فــيكم صــوفي صــفا	ومنكم كـم حـبر عـارف(١)

نموذج من شعر المدح

من هذا الفن الشعري يندر أن يجد المتأمل في ديوان الإمام العدني ما يلفت نظر الباحث إلى شخوص الممدوحين، ومكانتهم في قلب الإمام العدني، ويتركز مديحه على شخصيات معينة كان ارتباطه ا

(١) وهناك قصائد أخرى قليلة في الديوان مال فيها المؤلـف إلى الغـزل المكشـوف الواصف للـمفاتن الحسية وصفا واضحا، أبرز فيه مقدرته الأدبيـة وقاموسـه الجمالي الحسي، ويبدو أنه يقصد من الوضوح الحسي رمزا معنويا لا يظهـر إلا للخواص، ويظهر ذلك من متابعة الأبيات إلى آخرها، إذ يلاحظ صرف المعنى عن الغزل إلى غاية يصرح ا في السياق، ويلزم القارئ ألا يقف عند صدر القصيدة، بل يتابع الوحدة الموضوعية في الأبيات، وعندها يبرز له المقصود مـن النسـيج الشعري المبطن.

موافقة لقرابة ورحم، أو منة، ومحبة صادقة بادله ا ذو جـاه، أو مقام، أو سلطان ؛ وقد أطنب الإمام العدني كثيراً في مدح السلطان عامر بن عبدالوهاب لـما رأى فيه من ملامح العدل، والصـدق، ومحبة آل البيت النبوي، وخدمتهم، كما رأى فيه مـن العلـم، والأريحية، والبطولة التي تستحق الإكبار، وقد توزعت هذه القصائد في ثنايا الديوان مقرونة في أكثر الأحوال بمناسبا ا، ومنها أبيات من قصيدة أرسلها إلى السلطان عامر بن عبدالوهاب يتفاءل بنصره على بعض أعدائه ص٢٨٨ « ا موعة العيدروسية » :

عنايـات وتيسـير بيسـر ولطـفٍ شـاملٍ ودوام نصـر
وتأييـد مـن المـولى تعـالى وحفظٌ مانع مـن كـل ضـر
وفتح عـن قريـبٍ في عـلاءٍ وعافيـةٍ مؤبـدةٍ وسـتر
لـمولانا الإمام ومـن ترقـى على كل الملـوك بكـل فخـر
فأنت على الشريعة لا خـلاف لـما قلنـاه في سـر وجهـر

كما امتدح صاحب زيلع ناصر الدين بن عبدالله باحلوان بقوله :

ألا يا ناصـر الـدين المسـمى بنصر الـدين أُكفيـت الهمـوم
نصرت على الجميع بنصـر ربي وأعطاك المهـيمن مـا تـروم
ولا زالت لـك الأيـام سـعداً وأيـام الـذي يشـناك شـوم

فطب نفساً بما قد قلـت حقـاً ذا القول قد حكـم الحكـيم

وامتدح ابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن علي سنة ٨٩٥هـ فقـال فيها :

سبط النبوة وارث السر الـذي يهدي به من لـم يكن بالـمهتدي
جم الفضائل عابد الرحمن مـن أنـواره كالكوكـب المتوقـدِ
عيني التي عين الـيقين أرى ـا ويدي التي تسطو إذا كلت يدي
وأخي الذي صِدق الإخا أولَيتـه وخصصته مني بصدق تـوددي

نموذج من شعره في التواجد والسماع

وقال في التواجد والسماع :

مقام السـماع مقـام شـريف بصحب وذكر وموضع نظيـف
لنا فيه يا صاح معـنى لطيـف يقيم اللطيف ويفـنى الكثيـف
تظن السماع سمـاع الـدفوف أو ان التصوف لباسك صـوف
أو الوجد هو التصديه بالكفوف فـلا يعتقـد ذاك إلا سـخيف
سماع الرجال شـهود وحـالْ بحـق الـيقين ونفـي المحـالْ
بشوق وتوق لـمعنى الجمـالْ وقلب تقـي وجسـم عفيـف

وكل التواجد سوى ذا حرام بنص الشيوخ الفحول الكرام
كراعي «العوارف» وعالي المقام قشيري «الرسالة» وكم من منيف

وتكاد غالب قصائده ذات المنحى الذوقي تعالج مسائل الوجد والتواجد وتأنيب المفرطين في التجاوز عن حدود الأدب سواء في الحركة أو البكاء المصحوب بالأصوات أو التفاعل المخرج عن التمكين .

مقام الإمام العدني وآثاره وأعماله الإصلاحية

منذ أن حل الإمام العدني العيدروس بعدن عام ٨٨٩هـ والكل في فرح واطمئنان، خاصة أهالي تلك المدينة المباركة على مختلف مراتبهم، فقد كان لهم كالأب الحنون والمربي الشفوق، والأخ الناصح، ولم يقف أحد من الناس موقفاً يلتفت إليه ضد هذا الإمام، وكان عليه منذ استقراره بمدينة عدن أن يشرع في مهماته التي عاهد اللّه عليها.

فأخذ على عاتقه نشر الدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وتصدر للتعليم والإفادة، وبرز لقضاء حوائج المحتاجين،

ومواساة الفقراء والأيتام من المسلـمين، ورتب أيام الأسـبوع في ذكر وعلـم، ودعوة إلى اللّه وتعليم حتى فرغ من بنـاء المسـجد الميمون وملحقاته، فجعله مركز الدعوة إلى اللّه، ومكان العلـم، ومأوى الغرباء والفقراء والـمساكين كما سبق ذكره.

وعظم مقام الإمام العدني بعدن، وانتشر صـيته في الأصـقاع، وأظهر اللّه على يده خارق الكرامات وباهر الآيات، مما أخضـع العتاة والعصاة والـمتكبرين، وصار أهل الحل والعقد يتقربون إليه، ويطلبون دعاءه، ويرجوه رضاه، وكانت له رحمه اللّه أياد عظيمـة في الإصلاح بين الناس وأفعال الخير وخدمة المنقطعين وفقراء البلاد.

وكان من أجل أعماله في عدن إقامـة الربـاط، والـمسجد المعروف إلى اليوم، وإشارته على ذوي السلطان والـمال بإقامـة السدود للـمياه الموسمية، وإصلاح الطرق في عدن وحضـرموت وغيرها، قال السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه « الشـامل » ص١٩٦ خلال وصفه لحوض المياه المشيد بمدينة قيـدون بـوادي دوعن : فهو غربيها عمقه نحو ست قامات وسعة أعلاه مائة مطيرة، وسعة أسفله خمسون مطيرة، وهو مطلي بالنورة بإحكـام، وقـد مضت له مئات السنين على ذلك، وكان العارف باللّـه الصـالح

الشهير أبوبكر بن عبدالله العيدروس العلوي الحسيني العدني صاحب الشهرة والصيت أشار على عامر بن عبدالوهاب الطاهري الحميري أن يقوم بإصلاحه، فيقال: إنه أنفق عليه حمل ذهب، وليس ذلك ببعيد، فإنه عمل عظيم، وصناعة محكمة.

كما كان له صدقات ومساعدات عظيمة في إصلاح وادي ثبي، وتجديد عمارة مساجد تريم، وغيرها من المصالح العامة، وكان يكل هذه الأعمال وإنجازها ومراقبتها والإنفاق عليها إلى السيد الشريف محمد بن أحمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن عبدالله ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن علوي عم الفقيه .

وأجرى في عدن صدقات سنوية ثابتة على طلبة العلم ورواد المقام، واشتروا للمقام أراضٍ واسعة لتغطية نفقات المقام ومناسباته، ويذكر المؤرخون أن مناسبة الزيارة السنوية كانت تعقد خلال حياة الإمام العيدروس بعدن حيث كان يعيد هذه الذكرى ويجري فيها من العادة الحسنة ما يعود بالنفع على المحتاجين والفقراء، ومنها عادة الكسوة، فقد كان يحمل في الموكب أحمال من الكساء، والملابس، ثم يوزعها على الفقراء والمحتاجين، وقد أبدلها المتأخرون بحمل الكسوة المعروفة الآن من الألبسة التي

تكسى بها القبور، ويتنازع عليها الزوار عند باب المسجد كل عام، وفرق كبير بين ما وضعه الإمام العيدروس من الصدقات الجارية، وبين العادات المستحدثة التي اخترعتها العوام، وحورب بسببها أهل الإيمان والإسلام.

وقد كان الموكب ذاته موكب علم وولاية يسير فيه كبراء العلماء والوجهاء، وأهل الحل والعقد وفاءً للإمام العيدروس وأعماله الجليلة، إلا أن مرور الأعوام وتغير المراحل حول بعض مناسبات الزيارة أدى إلى اختلاط مع النساء، واهتمام باللباس والكساء، وخرجت العادة من مقصودها المؤسس على تقوى، إلى عادة شعبية دخلتها الإضافات، واكتنفتها في بعض جوانبها الشبهات، حتى صارت فيما بين مرحلة الاحتلال حتى نهاية عصر النظام الاشتراكي تشتمل على تقاليد إضافية عكستها الظروف المتقلبة، مثل مشاركة فرقة موسيقى الجيش الرسمية في مسيرة الموكب العام يوم الزيارة، وأيا كانت دوافع المشاركة فإن الزيارة بذلك قد اكتسبت مظهراً بهيجاً واحتفالاً مرموقاً جذب الناس من كل حدب وصوب، والناس في غالب شؤونهم لا يدققون في مسألة صحة هذا المظهر من ناحية الشرع أم لا، ولهذا السبب بدأ بعض

المنتقدين على هذه المظاهر والزينات الشعبية يشددون النكير، ويفسرون المسألة بما فسرته بعض الآراء الحديثة، وأن في هذا التقديس والتعظيم لوناً من الإفراط و يئة جو المعصية باسم العلم والعلماء، تحت ظل احترام الأتقياء والأولياء.

ولما جاء عصر الصحوة كما يسمى، وبرزت في ساحة الحياة الاجتماعية مسائل الاختلاف على مظاهر التكريم للأولياء، وبلغ الاندفاع المشين لدى الراغبين في التغيير إلى الهجمة المسلحة، وتحطيم الأضرحة، ونبش القبور، وخرجت المعالجة عن حد الصواب إلى الانفعال، والإهانات، والتجرؤ الوقح على مقامات الصالحين، هيأ اللّه الأسباب من داخل مدرسة الإمام العيدروس والقائمين على مسجده، أن يتخذوا حداً وسطاً بين الإفراط والتفريط، فدعوا إلى إعادة ترتيب المقام والزيارة والمسجد على ثوابتها الأساسية من نشر العلم والعمل، وتربية الأجيال على الفضائل، ونشر الدعوة إلى اللّه تعالى، وتحفيظ القرآن، وخدمة علوم الشريعة المطهرة، وضبط مناسبة الذكرى بمنع أسباب الاختلاط، وترشيد العوام والمتعلقين بالالتزام التام بالأدب الشرعي عند الزيارة وقبلها وبعدها.

وكان لذلك العمل فائدة كبرى على المقام والمسجد، وإعادةً حقيقة لدور الإمام العيدروس في ذكراه، وتوظيفاً لطاقات الشباب والمحبين والمتعلقين، ودرءاً لفتن وهجمات باترة لك الحرث والنسل، وتشيع القلق والعداوة والبغضاء في أمةِ السلام والإسلام.. أمةِ التقوى والإيمان.

مظهر الإمام العدني ومواقف محبيه ومعارضيه

منذ أن برز الإمام العدني على محيط التأثير الروحي والامتحانات والابتلاءات تتوالى عليه، كما يقابلها توجه القلوب السامية والمحبة إليه، وتلك حكمة اللّه في العباد، ولم تقتصر هذه السلبيات أو الإيجابيات في المواقف على أيام حياته بحضرموت، وإنما اتسعت دائرتها بتوسيع اللّه تعالى دوائر الظهور والجاه للإمام العدني في حضرموت وعدن وغيرها، وفي ثنايا ديوان الإمام مواقف وملامح تشير إلى شيء من هذه الانفعالات البشرية وما يقابلها لدى الإمام العدني من تفاعلات وجدانية تطفح على سطح مقامه فيسجلها شعراً حكمياً أو حمينياً، فمن ذلك ما جاء في الديوان ص٥٣ مصدرة:

وقال رضي اللّه عنه في حال أهل زمانه وما صدر منهم، فمن ذلك ما قاله في سلطان بلدة تريم حرسها اللّه وسائر بلاد الإسلام،

وكان حصل منه معارضة حتى يلوذ به من فقرائه، وأقاربه، فوقــع بالوالي المذكور جميع ما تضمنته القصيدة، وذلك في سنة ٨٧٥هـ ـ :

لا ترجفــوني فــإنني لا أجــزع	من رجفكم كلا ولا أتزعــزع
عندي محقق أن كل رجــوفكم	بي لا يضــر وودكــم لا ينفــع
أنتم أقــل أذل مــن أن تجلبــوا	نفعاً ولستم للضــرائر تــدفعوا
النافع الضــار المهــيمن ربنــا	إن شا يــذل عبيــده أو يرفــع
ما أن ذكرت تقرباً منكم مضــى	إلا وكــدت لــذكره أتقطــع
أسفاً على بذر الجميــل ببقعــة	بطحا سِباخاً بــذرها لا يــزرع
والآن قد عاهدت نفسي يا فــتى	عهدا وثيقــاً لا إلــيكم أرجــع
حسبي ببعدي عــنكم لي راحــة	ما شئتم من بعد هذا فاصــنعوا
وإن احتيمت بسيفك الهندي فلي	سيف إلى ضرب المفارق أســرع
سيفي هو اسم اللّه الاعظم حصني	إرثا به جدي الشــجاع الأورع
وإن التجأت بحصنك العالي أنــا	حصني أعز لدى الخصام وأمنــع
حسبي هو القرآن والأسما العظــا	م فمن هنا ياذاك حصني أرفــع
وإن اعتزيت لنا بجــد ظالــــم	جدي الذي في العالــمين يشفع
الهاشمي المصطفى خــير الــورى	ذخري إذا بالهول شاب الرضــع

وإذا صرخت إلى عساكرك الـتي   لا يبلغنك جمعهـا مـا تطمـع
ناديت كل الصـالحين فـأبرموا   أمراً به تلقى الهـلاك فـأجمعوا
هذا ولو أبغي عنـادك ظـاهراً   والأرض تبقى بعد بعدي بلقـع
لخرجت أسعى نحو أرض غيرهـا   وبقيـت فيهـا بـالنعم أمتـع
لا عار قد جاء الأوائل من قرى   أرض العراق إلى بلادك ينجعـوا
لـم يبق بعد خروج سيد هاشم   من مكة عار علـى مـن يتبـع
يا أكرم الكرماء يا رب السـما   يا كاشفاً ضراء مـن يتضـرع
اهزم جيوش البغي وافلل حـدها   ليطيب بعدهم الربا والـموضع
ويكون فيها بعدهم أحد يـرى   فيه الصلاح لعل تصفوا الأربـع
أو جد وبدلهم صـلاحاً دافعـاً   لفسـادهم فلعلـهم أن يقلعـوا
خذ هذه الأبيات مني كي تـرى   ما كنت تخشى يا شهاب وتفزع
ها نا أقول وأنـتم قـد قلـتم   وغدا يرى من بالحقيقـة يطلـع
كنا نسايركم لنخفي ظلـ ـمكم   فازداد ظلـمكم فـزال البرقـع
فأشعت إنكاري لنصر شـريعة   جاء الرسول ا إلينـا يصـدع
صلى عليه مـع السـلام الهنـا   ما الورق غنت والضيا يتشعشـع
والآل والأصحاب أعلام الهـدى   من فيهم سر المهـيمن مـودع

وقال أيضاً في أناس أخلفوا وعده ولـم يوفوا بما عاهدوا عليه :

أعاتب دهري أم لنفسي أعاتـب ... وثوقي بمن قد لاحقته التجـارب

فكم صاحبٍ أرجوه عند ملـمةٍ ... سدادٍ لها فازددنَ منه المصـائب

فما أكثر الأصحاب حين تعدهم ... وما قِلهم إن حاولتك النوائـب

وكم صاحبٍ أملتـه أن يعيـنني ... فكان كبرقٍ لاح لي وهو خالب

رأيـت سـراباً لاح لي فظننتـه ... شراباً وغرتني الظنون الكـواذب

وكم من فتى أرجو مواهب بـره ... وقد صار بالضد المواهب ناهب

فدعوى بلا صدق ومن بلا عطا ... فخيب آمالي به وهـو خائـب

وقال أيضاً لـما بلغه عن بعض الناس لوم على تحملـه الـدين بسبب الإنفاق وإصلاح ذات البين وإقامـة مصـالح المسلـمين وإيصال رحمه وأقاربه ونيل من قصده من الوافدين وأهل الفاقـات وسد خلل ذوي الحاجات فقال:

سبحان عالـم إعلاني وإسراري ... وشاهدي غائبا أو كنت في داري

وعالـم السر مني حيث أسـتره ... وغيره ماله علـم بأسـراري

بأنني لست أرضى غـيره بـدلا ... آوي إلى عزه من كـل ختـار

أشكوا إلى اللّه ممن لام في كرمي ... على المقلين من أبناء أعصـاري
أنا الذي لا أرى الإمساك يصلح لي ... فلا أفارق جودي خوف إعساري
وطنت نفسي على أشياء أعرفها ... عن كابر كلها أفعـال أخيـار
وليس لي مسـلك إلا اتبـاعهم ... وسبق لاحقهم في كل مضـمار
فلو بذلت طريق المال عن طرف ... مع التليد لـما باليت يا جـاري
أيمسك المالَ خوف الفقر ذو كرمٍ ... عرق الندى في مجاري جسمه جاري
ولو تدينت ملء الأرض من ذهب ... ما بات عندي منه عشر أعشـار
لـم أكترث من ثقيل الدين أحمله ... اللّه يحمل جل الحادث الطـاري
مولاي يقضيه عني فهو ذو جِدةٍ ... بحيث يسره مـن غـير إجبـار
يا صاح قل للذي بالدين عـيرني ... ماذا علي بذاك العار مـن عـار

وجاء في الديوان[١] إشارة إلى ما جرى من رجل من صوفية أبين على الإمام العدني بسبب معارضة صدرت عنه وإساءة أدب، فقال الإمام العدني أبياتاً متوعداً ذلك المعترض، وقد استجاب اللّه دعاءه في الرجل المذكور، والأبيات هي[٢]:

---

(١) «ا موعة العيدروسية» ص٣٧٥ .

(٢) المصدر السابق، وهي مما ينشد في حضرة الإمام العيدروس في مسـجده مسـاء

سـيفي المهنـد مـا كحـده حـد وجـدي أحمـد
أقـد بـه هامـة معانـدي قـد واهـده هـده
وهزلنـا عنـد المبـارزة جـد قـول مؤكـد
من حـد اذا قمنـا ومـن لـه حـد اللّـه يشـهد
وفضـلنا يشـهد بكـل مشـهد الأب عـن جـد
العيـدروس الأب والسـويني كـألف فـارس
وكـم أسـود قائمـة بعـوني ورب حـارس
وسـوف تنظـر أينـا لـه اليـد ومـن يؤيـد
بدر السـعادة قـد قـرب طلوعـه فسـوف يظهـر
إذا بـدا كـل الشـهب تطيعـه ولـو تـأخر
غصـن زكـى أصـله مـع فروعـه وزهـره أثمـر
فيا ابـن شمـس الـدين قـم تأكـد فحربنـا شـد
فسـوف تنـهب يـا فـتى وتبعـد وابنـك يقيـد

آثار الإمام العدني

أبقى الإمام العدني من بعده آثارا علـمية كالرباط والـمسجد

الاثنين من كل أسبوع .

وما فيهما من الدروس والـمقام المبارك الذي صار مكانا للحضرة الشريفة التي هي من أعظم آثار الإمام العدني[1]، وكـذلك تـرك

(١) وهي مشتقة من الحضور في الذكر، وهي تقليد من تقاليد مدرسة السلف الصالح، ووظيفتها الترويح الروحي على المحبين والـمتعلقين.

وقد كان الإمام العدني رضي الله عنه يقيمها في المسجد المبارك يحضرها الجم الغفير من أتباعه ومريديه وبقية الفئات في ا تمع.

وبعد وفاته نقلت إلى داخل القبة بجوار الأضرحة المدفونة هناك، وتبدأ بعـد صلاة العشاء من كل يوم اثنين حيث يكون المنصب أو من ينوب عنه حاضرا في المسجد جالسا بعد ركوع نافلة العشاء تحت نافذة تريم المعروفة، ويرتب التـابع فاتحة بدء الحضرة ويبدؤون بالذكر المعـروف بـذكر العيـدروس أو الطريقـة العيدروسية، وهي مجموعة من الأذكار المأثورة رتبها والـده الإمـام عبداللّـه ابن أبي بكر العيدروس.

وقد أشار إليها الإمام العدني في قصيدته:

وذكر العيدروس القطب أجلـى   عن القلب الصـدا للصـادقينا

ثم بعد الفراغ من الذكر تنشد النشائد الجماعية وترتب الفاتحة ويدار أثنـاء الحضرة بشيء من البن المحمس، وكان الإمام العدني يستعين به مع الحاضرين على طرد النعاس، وبقي تقليدا في الحضرة إلى اليوم، كما كان يدار الماء في « طاسـة الإمام » التي كانت موجودة ضمن آثاره؛ ولكنها فقدت بعد هجمة المتطرفين على المسجد والضريح، وتوزع أثناءها أيضا القهوة والحلوى وغيرها.

وبعد انتهاء الحضرة يقوم الجميع بزيارة الضريح ومن حوله من القبـور، ثم

الإمام العدني من بعده بعض أمتعته التي يتبرك ـا كالـ ـمسبحة والطاسة « إناء الماء » والعصا التي يحملها خطيب الجمعة .

وقد بت هذه الآثار في الهجمة الشرسة على المسـ ـجد والقبـ ـة، و بت أيضا أبواب الضريح، وهي من الساج الفاخر، كما خربت النقوش والقناطر الأثرية، وامتدت الأيدي إلى نافذة مـ ـن نوافـ ـذ المسجد بالذات المسماة بنافذة تريم، وأحرقت مع عظام الموتى الذين

يخرجون لزيارة القبور المدفونة في جناح القبة، وينصرف المنصب، ويجتمع النـ ـاس لفاتحة أخرى بجانب نافذة تريم، ويبدو أن هذه الفاتحة استحدثت قريبا.

والـ ـمعلوم أن نافذة تريم سميت بذلك لأن الكرامة التي يتناقلـ ـها النـ ـاس أن سعدا السويني رمى الإمام العدني على سبيل المزاح بكف من الطين، فدخلت من هذه النافذة، والتحقيق يؤكد أن الشيخ سعد بن علي مذحج –وهو شيخ الإمـ ـام العدني- قد مات والإمام عمره سبع سنوات أو ثـ ـمان، ولعل سعداً السويني غير سعد بن علي مذحج، وهذا هو الأقرب إلى الصواب، خصوصا وأن هذا اللقب أو النسبة « السويني » لـ ـم يرد في كتاب الشيخ علي بن أبي بكر السكران «الـ ـدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي »، والذي أفرده لترجمـ ـة الشـ ـيخ سعد بن علي مذحج.

ونعود إلى ما نحن بصدده من أمر الحضرة وأ ا متنفس روحي لكـ ـثير مـ ـن مسلـ ـمي هذه البلاد على مدى الأزمنة والعصور المتلاحقة، ويأتي البعض مـ ـن أماكن بعيدة لحضور الحضرة يوم الاثنين، نفعنا الله بأسرار عباده الصالحين.

نبشت قبورهم.

وأما المنبر فيعتقد أنه صنع لاحقا مع ترميمات بسيطة، والتي قام ا مناصب المقام، وهو على ما يذكر أنه جيء به من الهند مع بقيـة أخشاب المسجد . وقد جدد المناصب في الفترة القريبة التوابيـت والأبواب وتـم ترميم المسجد من جديد، بما في ذلـك البركـة الخاصة بالإمام العدني المسماة ببركة الشفاء، والتي كان يغتسل ـا ويتوضأ منها. ولا زالت بعض الندوب من آثار الاعتداء بادية على القبة والـمنارة.

وفاة الإمام العدني

أفنى الإمام أبوبكر بن عبدالله العيدروس حياته كلها في خدمة مولاه، وإقامة مظاهر العلـم والدعوة إلى الله، وجـذب النـاس إلى الخـير، والعمل به، ولـم يزل كذلك حتى أخذ به المرض، فصبر على ما كتب الله عليه أياماً [1]، ثم ناداه منادي مولاه ليلة الثلاثاء الرابع عشر من شهر

---

(١) ورد في « العقد النبوي » (٢: ١٤٥) أن سيدنا الإمام أبابكر العدني احتجب في البيت آخر عمره لـما أراد الله سبحانه وتعالى له الدرجات العلى، ويرفعه مـع أهل الرفيق الأعلى، ويرفع له الحجاب، ويضاعف له الثواب، وكانت ترد عليـه

شوال، وعمره إذ ذاك ثلاثة وستون سنة عام ٩١٤ هـ.

وانـزعج الخاص والعام بموته، وانتحب المساكين و الفقـراء، وارتعب الوجهاء والأمراء، وهرع الناس إلى المسجد الميمون، ومنهم من ذهب إلى منـزله حيث جهز وكفن، وحمل على الأعنـاق إلى مسجده الشهير وسط البكاء والنحيب، والضجيج بالدعاء كيـوم من أيام الحجيج، وصلي عليه صلاة الجنازة، ثم دفن في الموقع الذي عينه لنفسه، واختاره لرمسه.

وأقيمت عليه القراءة على عادة حضرموت ثلاثة أيام، ثم اختـتم الدرس، وألقى الوعاظ والأدباء مراثيهم في الفقيد، وممن رثاه شعراً تلـميذه العلامة محمد بن أحمد بحرق، فقال :

كل نفـسٍ إلى الفنـاء تـؤولُ ... مـا لحـي إلى البقـاء سـبيلُ
إن في الموت عبرةً هـي تكفـي ... كيف والـموت في سواه قليـلُ
كم وكم في التراب صدر مهاب ... وفـتى باسـلٌ ووجـه جميـلٌ
كيف يلتذ بالـمعيشة مـرءٌ ... وإلى اللّهـو بعـد هـذا يميـلُ
يا لها غفلـة تمـادت فضـلت ... عن سواء السبيل فيهـا عقـولُ

الواردات، و جم عليه الأحوال المترادفات، وهو كالجبل الراسخ، والطود الشامخ.

لعبت بـالعقول دنيـا غَـرور ... لـم يفق عن خمارها الا القليـلُ

إلى أن قال:

رمقت عينـه العواقـب فيهـا ... فشراها لـما اشتراها الجهـولُ

شاد جوداً فساد مجداً فأضـحى ... في ذرى العز حين ذل البخيـلُ

فهو السيد الشريف الـذي قـد ... سلسلت فروعـه والأصـولُ[1]

وجدير بالـمجد والفخر غصن ... أصـله دوحـة نمتـها البتـولُ

قل لـ ـمن رام شـأوه قصـر[1] ... درك الفخر بالـمنى مسـتحيلُ

ولقبر ثوى به كيـف أضـحى ... ولبـدر الكمـال فيـه أفـولُ

حرمت حضرموت فخرا حوتـه ... عدن لـم تحزه تلـك الطلـولُ

صار ذاك اسمها كما كان فيهـا ... ساكناً فدام فيهـا النـ ـزولُ[1]

فبها العرب والجهـات جميعـاً ... عمها النـور والبـها والقبـولُ

فابشروا أيها النـزول بعـدن ... وسلام من ربكـم لا يـزولُ

لا يخف من يحوم حول حماهـا ... كيف يخشى وقد حمتها الفحولُ

كل من رامها بسوء وإن ظـ ـ ... ـن نجاحـا فإنـه المخـذولُ

نسأل اللّـه أن يـديم علينـا ... نعمـــا لا يشـــو ا تحويـــلُ

---

(١) كذا في الأصل.

ويقيم الـولاة بالعـدل فينـا ولأهل الفسـاد عنـا يزيـلُ
وصلاة مع السلام علـى مـن شق بالحجر صـدره جبريـلُ
أحمد الحامد البشير النذير الـ ـفاتح الخاتـم النبي الرسولُ(1)

وبعد وفاة الإمام العدني تصدر المقام بالجدارة وارث سره ولـده الإمام العلامة أحمد المساوى ابن أبي بكر، وكان خير خلف لخـير سلف.

وكان مدة مكث الإمام العدني بعدن من حين توطنه إلى وفاتـه حوالي خمسة وعشرين سنة، وقد خمس الفقيه النسيب اللبيب الشيخ عبداللّه بن أحمد بن فلاح الحضرمي تاريخ عام وفاة الإمام العدني في بيتين والتاريخ في أول البيتين وهو :

٩١٠ ٤ = ٩١٤

« قضى جا » تراه وفِيـاً بعـام وفاةُ الولي القطب صاحب عدنْ
أبي بكـر العيـدروس الـذي به اللّه أعلـى منـار السـنن(2)

---

(1) « مواهب القدوس » ص٢٢، « المجموعة العيدروسية » ص ٢٢.

(2) « تاريخ الشحر » ص٨٤.

السادة آل العيدروس تحت ظل مقام الإمام العدني

منذ وفاة الإمام أبي بكر العدني ابن عبدالله العيدروس ومقام آل العيدروس يعلو ويرتفع، ويبرز في مرتبة النيابة عن مظهر السادة بني علوي، ولا غرو فقد ورد عن بعض النساء الصالحات، وهي زوجة الإمام الكبير الشيخ عبدالرحمن السقاف[1] قولها : لكل شيء لب، ولب آل باعلوي آل العيدروس.

ومن المعلوم أن مقام آل العيدروس بعدن ظل شامخاً شموخ الجبال على مر القرون، وكان لهذا المقام الدور الفاعل في كافة الأحداث التي شهدها عدن منذ القرن التاسع والعاشر حتى عصرنا الحاضر برغم ما حاول المغرضون والحاسدون والمتعصبون أن يفعلوه من تشويه لحقائق التاريخ، أو يستغلوه من ضعف المراحل وشمول التعمية الإعلامية، وقد لخصنا عدداً من فقرات التاريخ الناصع التي لها الارتباط الوثيق بمقام الإمام العدني ومن وقف على سدة مقامه الأشم.

---

(١) هي السيدة الشريفة علوية بنت عيدروس بن عبد الله بن علي صاحب الوهط، تزوجها الشيخ الكبير عبد الرحمن بن محمد السقاف، وأثرت عنها هذه المقولة . راجع «شرح قصيدة: هات يا حادي » ص٩٤ .

رؤيا منامية لقائد جيش الترك كانت سبباً في دخول عدن

ذكر المؤرخ الأستاذ عبدالله محيرز في كتابه « العقبة » عن دخول الأتراك عدن في عام ٩٧٦ هـ، وكان فيها الأمير قاسم بن شويع، فذكر المؤلف أن جيوش الترك حاصرت عدن من ناحية ميناء صيرة وباب عدن، وطاردوا سفناً برتغالية جاءت لنصرة قاسم بن شويع، وطال م -أي الأتراك - الحصار، وكان من جملة الطائفين علـى القلاع الرئيس شكر كدخدا المعروف بقبطان اليمن الذي أ كـه التفكير لصعوبة الاقتحام، فأثقل النوم بأجفانه وزاره العيدروس في منامه، ودله على طريقة يدخل ا إلى المدينة، فأخذ بيده إلى قلعـة وقلاع عدن يقال لها شمسان ليس لها نظير في العلو، وأراه مسـلقا، أي مصعدا للقلعة، وقال له: اطلع من ها هنا فاسـتيقظ، وسـلك ذلك السبيل، وفاجأ حامية قاسم بن الشويع، وأخـذ م سـيوف الترك، «وطلع شمس الفتح من شمسان»، ودخل الجيش العثماني من البر والبحر في ٢٨ ذي القعدة ٩٧٦هـ [1].

---

(١) « العقَبة » لعبدالله محيرز ص١٧٨ .

دور آل العيدروس في محاربة البرتغال إلى جانب دولة آل طاهر

ذكر الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر »، ونقله حمزة لقمان في «تاريخ الجزر اليمنية»، وكذلك حسن شهاب في « أضواء على تاريخ اليمن البحري » ما مثاله: في الأيام الأولى من شهر ربيع الثاني ٩٤٢هـ الموافق ١٥٣٥م خرج مركب إفرنجي ونهب جماعة في طريقه، ثم وصل إلى الشحر، ثم توجه من الشحر مع عدد من الإفرنج يقطعوا طريق البحر إلى المشقاص، من السواحل وغيرها، وبعد يومين أو ثلاثة جاءت الأخبار بوصولهم إلى قشن، ووجدوا هنالك عسكراً حشدهم السيد عبدالله بن شيخ العيدروس بالنيابة عن السلطان عامر بن داود بن طاهر سلطان عدن، وتحصلت الفرقة إلى المراكب، ووقعت المحاذقة بين الفريقين، ثم رمى الإفرنج بالبنادق والمدافع عليهم، ولما اقتربوا من الإفرنج رموا عليهم بجرم باروت فاحترق بعضهم وغرق كثيرون وأغلبهم من البدو المهرة.

مشاركة آل العيدروس بعدن في تهدئة أحوال فتنة عام ٩٣٣هـ

ذكر الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر » : وفي هذه الأيام بعد انهزام الأتراك هرب الشيخ أحمد بن محمد صاحب عدن في غراب

في البحر فطلع إليه الشريف عبدالله بن شيخ العيدروس والفقيه عبدالله بن محمد بن أحمد بافضل وغيرهم ليردوه إلى بلده لتنتظم أحوال الناس فرماهم بالبنادق فرجعوا..إلخ [1].

المناصب الأكارم الذين تبوؤوا الاعتناء بمقام العيدروس

منذ وفاة الإمام العدني بعدن في شوال ٩١٣هـ ومقامه معمور، ومسجده، ودروسه، وكافة مصالح المظهر العيدروسي على أفضل الوجوه والكيفيات.

وقد تبوأ هذا المقام الكبير من بعد الإمام العدني جملة من الأبناء والأحفاد، وهم :

١- السيد أحمد المساوى بن أبي بكر العيدروس ، توفي عام ٩٢٢هـ (١٤٤٧ م).

٢- السيد محمد بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، توفي بمكة عام ٩٧٨هـ (١٥٠٣ م).

٣- السيد عمر بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، توفي بعدن عام

(١) « تاريخ الشحر » لبافقيه ص١٨٢.

١٠٠٠هـ (١٥٢٥ م).

٤- السيد محمد بن عمر بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، توفي بعدن.

٥- السيد أحمد بن عمر بن عبدالله العيدروس ، توفي بعدن.

٦- السيد محمد بن أحمد بن عمر بـن عبداللـه بـن أبي بكـر العيدروس، توفي بعدن.

٧- السيد علوي بن زين بن محمد العيدروس ، توفي بعدن.

٨- السيد زين بن علوي بن زين بن أبي بكر العيدروس ، تـوفي بعدن.

٩- السيد علوي بن زين بن علوي بن زين محمد بن زيـن بـن أحمد بن عمر بن عبدالله العيدروس ، توفي بعدن[1].

١٠- السيد زين بن علوي بن زين بن علوي العيـدروس، تـوفي بعدن ١٩٠٢م[1].

١١- السيد عيدروس بن زين بن علوي، من عام ١٩٠٢م حـتى وفاته بعدن ١٩٢٧م.

---

(١) وفي عصر هذين الاثنين كان دخول بريطانيا، إذ كان دخولها عام ١٨٣٩ م.

١٢- السيد شمس العلـماء عبدالله بن عيدروس بن زين العيدروس من عام ١٩٢٧ حتى وفاته بعدن عام ١٩٤٨.

١٣- السيد زين بن حسن بن عيدروس العيدروس ١٩٤٨ حـتى وفاته بعدن ١٩٦٠/٥/٥م.

١٤- السيد أبوبكر بن عبدالله بن عيدروس بن زين بن علوي، من عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٦٦ م .

١٥- السيد عبدالله بن عيدروس بن زيـن العيـدروس ١٩٦٦-١٩٧٢.

١٦- السيد مصطفى بن زين بن حسن بن عيدروس بن زين بـن علوي بن زين العيدروس، من عام ١٩٧٢ إلى اليوم.

مشجر مناصب آل العيدروس

الفهرس